مطبوعات الفجر
١٧

المـــراهـــن

بقلم / سيد أمين

مطبوعات الفجر
تصدر عن جماعة الفجر الأدبية بالقاهرة

المشرف على التحرير / دكتور يسرى العزب

رقم الإيداع : ١٣٢٢٢ /٩٩

إهـــداء

الى ذلـك السـراب الـذى نلهـث خـلفـه

إلى ذلك الأمل الـذى يختمر فى وجداننا

إلى الحـب الـذى يتلـف عقولنـا

إلى السر العظيم الكامن فى نفوسنا

أهـدى عملـى المتواضـع

سيد أمين

كان فخر الدين متوسط الطول والحجم ، وكانت بشرته مائلة شيئا ما نحو السمرة العذبة ، وتحمل عينيه كما هائلا من الرجاء والأمل وهما العاملين اللذين تسببا فى تكوين رغبة ملحة لديه نحو البقاء رغم ما يعانيه من أزمات نفسية واقتصادية ، لكن تلك الأزمات لم تأخذ بعد منحنى خطر حيث أنه مازال فى العقد الثالث من عمره ومشربا بالقدرة على الصمود والعمل وتحمل الصدمات . . والطريق الذى مضاه من عمره لا يتجاوز نصف الطريق كله المتبقى منه بما يسمح لأن يبحث هنا وهناك عن خبطة العمر ، تلك الخبطة التى تنقل الانسان من عالم الى آخر . .

وكان يتسم بأخلاق سمجة وثقافة جيدة تجعله قادرا على فهم الحياة بعض الوقت . .

أما نور الدين وهو الشقيق الأصغر فهو لا يختلف طباعا عن شقيقه ولكن صغره أعطاه قدرة على الحركة والتركيز ووفر له إمكانية فهم الواقع . .

وكان فخر الدين يحب جارته الجميلة الصغيرة عبير وعبير تصغر فخر بعدة سنوات وكانت بارعة الجمال وتنتمى لأسرة ثرية . .

وعلى عكس أى فتاة تربت فى بيئة منفتحة وتمتلك تلك النسبة من الجمال بما ينتج عن ذلك من جهل تام بحكمة الحياة والمعاناة والحب الخالص . .

على نقيض ما ينبغى كانت عبير فى حبها لفخر الدين ، وهو الأمر الذى جعله يتعلق بها أكثر وأكثر . . حتى ترعرع الحب بينهما فصار جدول حياة . .

لم يكد فخر الدين يرفع رأسه من الصحيفة التى يتصفحها حتى حدثه أخوه الأصغر نور الدين الذى يستقيظ لتوه قائلا : يووه كل يوم تجيب جريدة بنص جنيه يا فخر .

قال فخر بينما جلس بجواره نور الدين على الكرسى الآخر الموجود حول ترابيزة الطعام المتواضعة :

ما باليد حيلة يا نور . . بقى سبع سنين بدون شغل لدرجة أننى شعرت أن الليسانس اللى أخدته كان شعبة بطالة ، لازم أدور على وظيفة ، أى وظيفة !!

قال نور وكأنه مل من الحديث :

طيب . . طيب . . حنفطر إيه؟ !

أجابه فخر :

حنفطر إيه . . ده كل اللى همك ، وشوف بعد ما يخلصوا القرشين اللى معانا حناكل إيه ، روح شوف المطبخ . .

تمتم نور وهو يمشى متكاسلا تجاه المطبخ :

بعد ما يخلصوا القرشين حيبعتوا غيرهم من البلد ، لازم النكد ده على الصبح يعنى .[ذهب إلى المطبخ بينما كان صوته يسمع فى الصالة] .

يوه . . فول وطعمية كل يوم . . يا رب مافيش يوم لبن على مهلبية على حتة كيك . .

مضت دقائق وكان صوت الزيت الملقى على الطبق فوق النار مسموعا ثم تلاشى وأحضر نور الطعام ليضعه فوق المائدة بينما كان فخر مازال يواصل القراءة وتقليب الصفحات . .

تناولا جزءا من الطعام فقال فخر :

أنت نسيت انهم فى البلد بالكاد يعيشون ، وانهم يقتطعون من قوتهم ليرسلوا لى ولك ، وياليتهم يستطيعون الاستمرار ، إن مصاريف تعليمك ترهقهم جداً . .

قال نور محتدا مقاطعا : مصاريف تعليمى بس بقت المعضلة ، أمال مصا . . . .

توقف نور عن الكلام بينما استطرد فخر ليكمل الحديث :

آمال مصاريفى ، مش كده ، قولها أنا موش زعلان ، ده سبب من أسباب قلقى أصلاً ، وعلشان كده أنا باشترى الجرايد للبحث عن عمل ولا تنس إن عمرى ٢٧ سنة وكان يجب أن أجد عملا للإنفاق على نفسى وعليك هنا وعليهم فى البلد .

قال نور مداعبًا : بس؟

أجاب فخر : إيه قصدك؟ !

نور : حبيب القلب

فخر : يوه يا نور . . كل حاجة فاهمها ، مافيش سر يخفى عليك . .

نور : سر إيه اللى أنت جاى تقول عليه يا حبيبى ، دا الجوابات اللى عندك منها كفيلة بعمل مية جرنال زى اللى بتقراه . .

فخر : . . إيه رأيك لو عملت الجوابات دى كتاب وتبيعه لطلبة المدارس؟ وحياة ربنا تبقى مليونير فى شهر وتتجوزها . .

قال فخر غاضبا :

ده بس اللى فالح فيه ، منظراتى حضرتك ، حتى الثانوية العامة موش عارف تاخدها من مرة واحدة وجيت هنا مسار . .

نور : ليه بس الكلام ده ، عموما أنا جيت علشان أضبط حبك . .

فخر : طب قوم روح المدرسة ، قوم . .

نور : مدرسة . . مدرسة . . حاضر حاقوم أروح لها . .

هم نور بغسل وجهه ثم ارتدى ملابسه فى عجلة ولوح بيده

مودعًا ثم انصرف . .

استطرد فخر الدين فى قراءة الجريدة وأمسك بالقلم ليعلم على جزء منه ثم اقتطعه ووضعه أمامه على الترابيزة ، ثم أحضر ورقة بيضاء وأخذ يكتب :

[حبيبتى ، وعبير حياتى ، وملاذ قلبى ، ونور عينى الآنسة الأمورة عبير . .

رغم أننا نتقابل ونتحادث إلا أننى أصر كما تصرين على كتابة مشاعرنا المتبادلة العظيمة على الورق حتى نقرأها سويا بين أبنائنا وربما أحفادنا ليعلموا كيف كان حبنا رائعا . .

وبعد . . اننى حزين ، لأن المؤشرات توحى بأن أى حب مثل حبنا سوف يزداد التهابه والشوق اليه دون أى حل . .

فمشكلتى المادية تخنقنى ولا تنسى أننى بدون عمل أو شقة وأننى آخذ مصروفى من البيت . .

ولأننى لا أريد لك أن تتعذبى معى . . أدعوك لنسيانى وابحثى عن حب جديد ، يوفر لك الراحة والرفاهية ولتَعلمى أننى أكتب هذه الكلمات وأنا أعتصر ألما وأنزف دموعا ودما . .

ربما قد تغضبى لفراقى أسبوعا أو شهرا أو سنة لكنك سوف

تسقطيني من قلبك شيئا فشيئا حتى نسياني تماما ، أرجوك استحملي ، فإنني أسعى لصالحك ، فالفقراء مثلي لا يستحقون الحب ، هو كثير عليهم ، على قلوبهم وجيوبهم ، ومجتمعهم ، لأن أغلى أمانيهم أن يظلوا أحياء وأعظم جهادهم أن يعيشوا لليوم التالي ، لا يهم كيف يعيشونه ، فقط يظلون على قيد الحياة وأنت لا تستحقين الانخراط في هذا المجتمع ، أمر صعب عليك وتعذيب لمشاعرك الرقيقة النبيلة . .

هل تعلمين أنني أكافح من أجل توفير إيجار الشقة المفروشة التي أسكن فيها أمام شقتكم لمجرد ارتباطي عاطفيا بك ، وكان يمكنني البحث عن شقة أخرى في شارع شعبي أقل تكلفة . . هل تعلمين ؟؟

هناك تفصيلات كثيرة لن أزعجك بها عن ظروفي المعيشية من أجلها أدعوك لنسياني والبحث عن حب آخر لن يهبط بك بل يرفعك أو يحافظ على مستواك . .

وثقي أنني سوف أساعدك على نسياني ، سوف أختفي من حياتك ، وأيضا ثقي أنني أكتب هذا الخطاب لأقول لك ما لم تستطع شفتاي نطقه ولا يصدقه قلبي وأن القلم الذي أكتب به يوشك مداده أن ينتهي ويرتعش في يدي رافضا هذا الخطاب من

أساسه ، لكننى فقط أردت الهروب منك ومن قلبى إبراء لضميرى تجاهك . .

إننى أكتب خطابى وأنا فى كل ذرة فى جسمى أقسم على عدم نسيانك مدى العمر ، مدى العمر يا كلى ، يا أنا . .

سلام للأبد . . المخلص فخر] .

كانت الدموع تنهمر من عينى فخر الذى طفق يبكى وهو يعيد قراءة الخطاب ، مسح بكم بيجامته عينيه ودخل غرفة نومه وأخرج من أسفل الوسادة صورتها وأخذ يقلبها . .

بقى دقائق على هذا الحال . . ثم التفت إلى الساعة قال لنفسه : إنه وقت خروجها للكلية الآن . . أسرع بغسل وجهه وارتداء ملابسه ثم طوى الورقة ووضعها فى جيبه . .

على الجانب الآخر كانت عبير تستعد للخروج ، ومن عادتها فى أثناء خروجها أن تتحدث بصوت عال على عتبات الشقة كإشارة منها لفخر للحاق بها عند نهاية الشارع كما تعودا . .

لم تكن تلك الاشارة تعنى أنها تريد لقاءه بقدر ما تعلمه بخروجها وهو كذلك كان يفعل أما الكلام الذى يقال فلا يهم . .

خرجت عبير وكانت تدرك أنه يسير خلفها فى الشارع وما أن ابتعدا قليلا حتى وقفت تنتظره حتى لحق بها . .

قال : ياه . . يومين ما اشوفكش يا فخر . .

قال : عبير . . أنا عاوز اشوفك كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة . . بس خايف . . سألته وكأنها تنهره . .

قال خجلا : من حاجات كتير . . حبنا كل مادا يزيد وده خطر؟

قالت : خايف وخطر . . فيه إيه يا فخر؟

قال : مافيش يا حبيبتى . . خدى ده واقريه . .

مد يده بالخطاب والتفت يده على يدها برهة قصيرة ثم تركها غاضبا وسط اندهاشها . . كان فخر ينتوى الذهاب إلى عنوان الشركة التى طلبت موظفين فى إعلان الجريدة ، أخرج القصاصة الورقية ليؤكد على العنوان . .

هناك وفى مدخل العمارة كان طابور طويل من الناس ، منهم من يوحى منظرهم بأنهم عمال ومنهم خريجو جامعات وغيرهم . .

فى البداية لم يعتقد فخر أن الزحام الموجود فى المكتب

بسبب إعلان عن ثلاث وظائف . . عامل ومحرر شيكات ومحاسب . .

سأل عن سبب الزحام فأخبروه ، تردد كثيرا لكنه حزم أمره ، فقط عليه أن يجرب ، فالغد يحتاج المزيد من الكفاح والمغامرة . .

بعد مزيد من التزاحم والشد والجذب بين الناس المتزاحمين استطاع التقديم فى المسابقة وحضور الاختبار ثم انصرف . .

قالوا له إنهم سيرسلون للفائزين على عناوينهم .

مضت عدة أيام ، تقدم لعدة أشغال أخرى ، عسى أن تصيب احداها ، وكانت أياما سيئة جداً على نفس فخر الدين وقد لاحظ ذلك نور الدين الذى حاول أن يقلل من أهمية العمل لشقيقه الأكبر فقال :

يا سيدى . . شغل إيه اللى يتعب الواحد ويحرمه من مشاهده جمال القاهرة ، دا أنا مستعد آكل عيش حاف بس ماإتحبسشى فى مكتب يحرمنى من الاصطباح بوش البنات االحلوة فى الشارع . .

قال فخر بينما كان يرتب بعض الأشياء فى المطبخ . .

يا سلام يا نور . . ما أصل الخيابة اللى سقطتك ٣ سنوات فى الثانوية ، يا ابنى موش حتقدر تتمتع بجمال القاهرة بدون فلوس ، والناس اللى معاهم الفلوس هم اللى متمتعين بجمال القاهرة وللأسف يا نور احنا ما لاحقين بلح الشام ولا عنب اليمن ، يعنى لا متعة ولا فلوس . .

وقف نور وكأنه يصدق على الكلام ليحضر كتابا له وأخذ يتمتم : صحيح لا متعة ولا فلوس ، لنستعين على الشقا بالله . [أخذ نور فى القراءة بصوت عال بينما كان فخر مازال يرتب أشياء بالمطبخ] . .

عاد نور ليسأل :

صحيح يا فخر ، حنتعشى إيه؟فخر : زى كل يوم بيض مشوى و . . . .

نور مقاطعا : وسلطة وشوية الفول الحمضنين ، سيناريو فاشل وممل . .

فخر : يارب . . يارب المعونة توصل بدرى أحسن موش حنلاقى الأكل ده ، دا يا دوب الفلوس تدوم أسبوع تانى أو اتنين . .

نور وهو يعلم أنه يفاجئه : لقيت جواب تحت الباب !!
(قالها ببرود أعصاب) . .

صمت نور لحظات ثم استطرد بعدما حثه فخر على المواصلة قائلا : ورميته تانى .

فخر متلهفا : رميته . . رميته فين؟ .

نور : ماتخافش . . رميته فى الدولاب مع باقى الجوابات . .

اسرع فخر إلى حجرته وأغلق الباب خلفه وسط ضحكات نور ، وأخذ يقلب كومة خطابات وأخرج من بينها خطابا مغلقا وفتحه وأخذ يقرأه . .

إلى من استأثر لنفسه بالحب وأرادنى منعه ، إلى الذى أحبنى وأرادنى أن أكرهه ، إلى فخر . .

كم كان محزنا أن تكتب لى ما كتبت ، وأننى أعتب عليك أن تتصور أن حبى لك أقل من حبك لى . .

فأنا يا حبيبى على استعداد تام لأن أعيش معك على الكفاف ، فكفافك شهد وقربك سعد وأنت أغلى عندى من كل الدنيا . .

وإننى لا يمكن أن أختار الثروة وأبيع قلبى . .

فرجاء وأظنك لا ترفض لى طلبا أن تبقى على الحب وعلى قلبى الساكن بين ضلوعى . . فأنا لا أستغنى عنك وسأكافح معك حتى النهاية . .

المخلصة عبير . .

تمتم فخر يقول . . يا حبيبى . . إنك تعطينى الأمل . .

ثم أخرج من تحت وسادته صورتها وأخذ يقلبها وهو يكاد يطير من فرط سعادته . .

وخرج بينما كان نور يرقبه من خلال الكتاب الذى تصنع القراءة فيه . .

قال نور : يا رب نكون ارتحنا حبتين . .

لم يبال فخر بما قال بينما انهمك فى إعداد العشاء . .

وفى الصباح حضر البوسطجى طارقا على الباب ، كان فخر موجوداً وقد أذهلته المفاجأة ، إنه خطاب من الشركة يفيد اختياره للعمل وطلبوا منه الذهاب باكراً لإتمام الإجراءات . [سر مفاجأة فخر أن هذه هى الشركة رقم ١٧ التى يقدم للعمل بها ولم يصبه الدور فى اياها بل أصابه الدور فى أكثر الشركات ازدحاما] قال لنفسه ربما يكون حظ عبير جيدا أيضا . .

ابتسمت الحياة ثانية أمام فخر الدين ، ولكن سرعان ما بدأت المعاناة من جديد فراتبه الذى يتقاضاه من الشركة لا يكفى لتوفير حياة معقولة نسبيا خاصة أنهم أوقفوا عنه المعونة التى تصله من البلد بسبب عمله بل انتظروا منه أن يرسل لهم ! !

عموما كان العمل بداية جيدة ، مهما كان الراتب فلابد أن مسائل كثيرة سوف تحل ، ربما تحدث خبطة العمر ، الخبطة التى تنقل الإنسان من أتوبيسات هيئة النقل العام إلى الزلمكات والمرسيدس ورواندلر ، لكن كيف تأتى خطبة العمر ، إنه أمر غير مفهوم وغير معلوم وغير مبرر ، ولكنها ستأتى وإلا كيف نفسر الثراء المفاجىء لفلان أو علان . .

بهذه الطريقة كان يفكر فخر ، وهذه الطريقة من التفكير جعلته يقنع بنصيبه وراتبه فى انتظار خبطة العمر التى ستحل كل مشاكله ! !

كانت عبير تتعرض لضغوط كثيرة تعرض تجربتها العاطفية للنسف فالفارق الطبقى بينها وبين فخر الدين هو وسيلة فشل وليس نجاح لتلك التجربة ، فوالدها الرجل المحافظ البرجوازى ، وكذلك شقيقها الأكبر كانت عبير ذات الجمال العالى والتعليم العالى بالنسبة لهما وسيلة استثمار لعلاقات أسرية اجتماعية جيدة



والد عبير لا يؤمن بالحب ولكنه يؤمن بسحر المادة ونفوذها ، وكثيرا ما أحضر شبابا أثرياء إلى شقته بحجة وجود صلة قربى قديمة تجمعهما ، وكان يقصد من ذلك التقريب بينهم وبين عبير ، إلا أن عبير كانت لا ترى شابا غير فخر الدين . .

أما شقيقها الأكبر فكان له من كلفة المجتمع الرأسمالى ما يجعله جامداً لا يمتلك قلبا ، لديه شركة صغيرة يديرها ويحلم بأن تصبح من كبرى شركات البلد ، وهو فى سبيل ذلك مستعد للتعاون مع الشيطان حتى لو جعل من زواج شقيقته صفقة استثمارية . .

أما عبير فقد سعدت كثيرا بعمل فخر الدين ، واعتبرت ذلك درجا فى سلم طويل قد بدأ السير عليه ، وكان يمكنها لو الأمور على ما يرام أن تحدث والدها بشأنه فيوفر له عملا فى أفضل

شركة فى مصر ، لكن كيف ستتحدث عنه ومن المفروض أن تنكر علاقتها به ، هذا الأمر كان يشغل ذهن عبير لفترة طويلة لاحقة ، ولم تملك سوى الدعاء لفخر بالتوفيق . .

عمل فخر فى الشركة حيث طلب منه جرد الوارد والصادر للمنتجات وكان عملا بسيطا سهلا يستطيع أداءه أى شخص وقد ارتكن إليه وتطلع إلى الحوافز والبدلات مثله مثل كل موظف استقر فى عمله رغم عدم مضى شهر على استلامه له . .

خلال هذا الشهر كثرت مقابلاته مع عبير تمنت عليه وتمنى عليها بدأ يخططان لأسرة المستقبل الشقة كام أوضة اثنتان أم ثلاث لها بلكونة أم اثنتان أم الأفضل تراس؟ . . حفل الزفاف سيكون فى النادى أم البيت؟ . . وهل ستكون الخطوبة مع الزفاف؟ أم الخطوبة والشبكة فى يوم والزفاف فى يوم؟ . .

أمنيات كثيرة تمنياها كلها مشروعة لكنها صادرة من القلب وليس العقل فليس كل ما يتمناه المرء يدركه ولكنها هى وحدها المدركة المباحة . .

احتفظ فخر بجدول مواعيد محاضرات عبير فإذا انتهى عمله يمكنه الذهاب إليها فى الجامعة ليتحدثا بعض الوقت . .

ذات يوم اصطحبها من الجامعة لمكان قال عنه إنه أشهر كازينو فى مصر ليقضيا ساعة للتحدث فى أمر هام واعداً إياها

بمزحة ظريفة إنه يتحمل نفقات المشوار ذهابا وإيابا والمشروبات وخلافه !!

كان الكازينو عبارة عن قهوة نظيفة فى شارع شعبى وكان اسمه (كازينو كله على كله) . .

استغربت كثيرا عبير من اسم الكازينو وقالت وهى بالكاد تستجمع قواها من الضحك : دى قهوة موش كازينو . .

قال : قهوة ازاى بص على اسمه كازينو كله على كله . .

قالت ، وهى مازالت تضحك : جايبنى المشوار ده كله علشان نقعد فى القهوة دى؟

قال منتشيا : القهوة دى بتاعة كل المثقفين وستشرف بجلوس ست الحسن والجمال بها . . سوف أوصى القهوجى بعمل لوحة تخليدا للذكرى . .

قال : يا سلام يا فخر يعنى حالتك المعنوية مرتفعة النهاردة

قال : موش وحدى يا فندم حتنكرى انك انت كمان زيى . .

قالت وهى تتصنع : يعنى !!

بجدية قال : بصى يا عبير انا جيبتك النهاردة هنا عشان نتكلم بواقعية بلاش نغرق فى الأحلام لو كان حبنا لازم ينجح أنا حاسألك سؤال صريح تقدرى تنتظرينى كام سنة؟؟

وجمت وكأن السؤال استعصت إجابته فقال : سنة ، اثنين علشان اقدر اضبط حساباتى . .

أومأت برأسها تقول : طول العمر . .

طول العمر؟؟

طول العمر . .

موش حتسيبينى لأى ضغوط لو تأخرت؟؟

موش حاستجيب وده حبنا واحنا بس أحرار فيه وانا اعدك بتقديم أى مساعدة أستطيع أداءها . .

يبقى كده فزتى بجائزة كوب عصير ساقع نشربه مع بعض من أول فلوس المرتب . .

لا وإيه لازمته وفر تمنه

كانت الأحداث تمضى سعيدة جدا ، فأخيرا ارتكن فخر الدين الى عمل يستطيع أن يحقق منه وضع أول لبنة فى بناء عش

الزوجية ، فالآن يستطيع أن يتقدم لها ، وربما تسير الأمور على ما يرام ، فمن يدرى؟؟

لم يشأ الله أن يكتمل الشهر دون حدوث ما يعكر صفو الهدوء الذى دب فى حياة فخر الدين حيث اكتشف عجزاً فى الواردات والصادرات فى المخازن واتهموه بالسرقة لبضائع قيمتها ٥٠ ألف جنيه وفى تطور سريع تم إبلاغ الشرطة ثم النيابة والتى وجهت له الاتهام بالسرقة بدافع الهروب من حالة الفقر التى يعيشها كما استطاعت النيابة التوصل للعلاقة العاطفية التى تجمعه مع عبير واعتبرتها دافعا مؤيدا للسرقة حتى يستطيع الارتباط بها وكان هذا الاتهام الأخير له بالغ الأثر على نفس فخر الدين لخشيه من أن يصل لها هذا الحديث وما يسببه لها وله من حرج . .

قضى فخر أربعة أيام فى الحبس وبعد ذلك تم التمديد له ١٥ يوما لحين الانتهاء من التحقيقات . .

كان نور الدين الشقيق الأصغر قلقا للغاية من غياب فخر الدين عشرة أيام سأل كل أصدقائه عن مكان عمله فلم يستطع تحقيق شى حيث لم يكن يعلم مقر شركته أو اسمها وفى النهاية جاءته فكرة جيدة وهو سؤال عبير عنها فهى لابد أنها تعرفها ولكن كيف؟؟

بعد تردد حزم نور رأيه على انتظارها أثناء إشارة خروجها كما تعودت والتى كان يعرفها ويستطيع ترجمتها أثناء وجود فخر الدين نفسه ليلحق بها فى آخر الشارع وبجرأة استطاع مقابلتها وسؤالها . . حاولت أن تنكر علاقتها الخاصة بفخر أمامه إلا أنه وجدت أنه لا مناص من الصراحة حيث سألته عن سبب تغيبه منذ عشرة أيام فأجابها متعللا بانشغالاته فى العمل وعرف نور العنوان منها وذهب إليه وما أن سأل أحد الموظفين عنه حتى أخذوا يرمقونه ازدراء بينما تجمعوا بكثرة قريبا منه فقال له أحدهم : فخر النصاب اسأل عنه فى القسم لقد فصلناه . .

احمرت وجنتا نور غضبا وأراد أن يسدد له ضربات قوية لكن باقى الموظفين حملوه وألقوا به خارجا . .

توجه نور الى قسم الشرطة ومنه إلى النيابة وهناك استطاع زيارة فخر الدين قص له ما حدث وطلب منه عدم ذكر هذا الأمر لعبير وما أن انتهى فخر من سرد روايته حتى تذكر نور مشهد حمله وقذفه خارج الشركة كما لفت انتباهه وجود شخص يرتدى ملابس السعاة كان يقف بعيدا عنهم ونظراته مشفقة عليه . .

خرج نور الدين وهو كله إصرار على تقديم المساعدة لشقيقه الذى صدم صدمة قاسية . . فحدث مثل ذلك كفيل بأن



يدمره نهائيا لأنه صعب أن يتطلع الإنسان لصعود سلمه لأعلى فيجد نفسه ينزلق لأسفل !!

وكان فخر الدين لا يشغله سوى أمرين : كيفية تدبير مصروفات نور وتأثير صدمة النبأ على عبير التى حتما سيصل لها آجلا أو عاجلا . .

تضخمت رأسه بعديد من الأسئلة : هل ستصدقه؟ وإن صدقته هل ستتحمل الصمود ؟وان احتملت الصمود فلكم عام؟ وهل سيكون أمرا هينا عليها أن تحب شخصا مسجونا متهما فى أمانته وشرفه عاجزا عن تحقيق أى خطوة إيجابية تقرب المسافات الشاسعة بينها وبينه؟ وماذا فيه يجعلها تتمسك به؟ وما ذنبها لتحمل كل تلك الصعاب والطرق الوعرة وكان يمكنها إيجاد من هم أفضل منه فى كل الظروف . .

كانت كل الأسئلة لا تصب إلا فى إجابة واحدة حب عاجز فاشل كحب المراهقين ولكن كم مرة يعيش الإنسان؟؟ أليست مرة واحدة ان انقضت طفولة المرء فلن تعود وان انقضى شباب المرء لن يعود وهلم جرا . . بذلك صعب لمن قضى طفولته تعسا أن يستمر فلابد من عمل عملاق . . خبطة العمر التى تجعل مرحلة الشباب سعيدة كأن نحب ونتزوج ممن نحب . . نتمنى ونحقق ما نتمنى أو جزءاً منه . . لا أن تبقى الحياة كلها سلسلة من سلاسل الجحيم فإما السعادة وإما الموت والسعادة لاطريق لها سوى التخلص من هذا المحبس والانطلاق بحثا عن خبطة العمر . . إذن لا مفر من الهرب كخيار للسعادة وإن فشل فخيار الموت سيكون ردا حتميا غير مقصود لذاته . .

بهذا المنطق فكر فخر ودعم هذا التوجه صدور حكم المحكمة عليه بالسجن خمس سنوات مع الشغل والنفاذ وأخذ يتحين فرصة الهرب خاصة لظروف القاسية التى يعانيها فى السجن مع مجموعة من المجرمين منهم مروجوالمخدر المصنوع من بودرة جماجم البشر ومنهم القاتل المأجور ومنهم اللص . .

كانوا يتباهون بجرائمهم ويستعملون معه رذالتهم السخيفة حتى يحدثهم عن كيفية تصرفه فى البضاعة التى سرقها . . قالوا

إنها تساوى ٠ خمسين الف جنيه وأخذوا يتحدثون معه بوصفه «معلم ضالع» فى الكار ويخطط مضبوط على حد تعبيراتهم . .

مضت ثلاثة أسابيع منذ أن نطق القاضى بالحكم . . كانت أياما عصيبة . . مسئوليات ثقيلة بالخارج . . وشعور بالظلم يكفى وحده لخنق الأنفاس . . ظلم على ظلم . . ومحبس على محبس . .

دق الجرس فى صباح اليوم . . انتفض الجميع من تحت بطانيتهم السوداء المهلهلة . . ليرتدوا زى العمل . . لأنه فى تمام السادسة صباحا يقفون فى طابور التمرينات ومن يتأخر سوف يعاقب بتكديره رغم أن المساجين يطلقون على تلك التمرينات طابور التكدير . . اصطفوا فى صف واحد بينما كان الشاويش يراقب عن قرب . . خرجوا الى ساحة السجن وبانتظام وقفوا يتلقون تعليمات المدرب . .

بعد ذلك أمرهم بالانصراف لتناول الطعام وكان طعاما سيئا ومن المؤكد أنه ملوث . . حيث اعتاد المساجين على أن يلتقطوا من أكواب الشاى البلاستيكية حشرات كالصراصير والذباب وغيرها لكنهم يتناولونه دون قرف لأنه لا يوجد بديل . . لكن فخر كان شديد القرف من كل شئ فى السجن وقد أثر ذلك بشكل واضح على صحته . .

بعد ذلك وضعوا أسورة حديدية فى يدى كل منهم وأركبوهم سيارة كبيرة محكمة الإغلاق . . إنه يوم للعمل الشاق يخرجون فيه إلى الصحراء لتكسير الأحجار اللازمة لبناء المساكن الجيرية . . وسارت السيارات عبر طرق وعرة قاحلة فى وسط الجبال وكان المساجين يعتبرونها رحلة ممتعة وهم ينظرون الى الأفق وقبة السماء الصافية عبر قضبان ومنافذ السيارات . . هناك فكوا من أيديهم الأساور وأعطوا كلا منهم معولا بينما يطوق الجند المدججون بالسلاح المكان فيما يشبه الدائرة . .

تم توزيع مواقعهم التى يعملون فيها فوقفوا يستنشقون هواء نقيا غير الذى يستنشقونه فى سجنهم المختلط برائحة البول وكانوا سعداء غير مبالين بما يخبئه القدر . . لم تمض ثوان من بدء العمل حتى حدث انفجار رهيب انطلق عبر مراحل . . ملأ الغبار كل مكان بينما كانت تسمع أصوات صرخات . . وسادت حالة من الهرج والمرج . . سُمع صوت قائد الجند يصرخ : ابتعدوا . . منطقة ألغام . . جرى فخر الدين لكنه سقط مرة أخرى على جسم شخص آخر ونهض وأخذ يجرى ويجرى حتى سقط ثانية من الإرهاق . . نظر ليده فوجدها ملطخة بالدم . . تطلع للخلف فرأى الجند مازالوا يطوقون الموقع . . ولكن الغبار فيما يبدو أعاق

رؤيتهم وحركتهم . . فكر فى انتهاز الفرصة . . فرصة الهروب . . فنهض ثانية واستمر فى الجرى بدون هدف حتى يبتعد عن أعين الشرطة . .

بعد عدة كيلومترات وجد نفسه ينهار . . خر ساكنا من شدة التعب . . وبعد ما أفاق نظر حوله فلم يجد سوى صحراء ليس لها نهاية ولا بداية . . تطلع إلى يديه وكان مازال الدم يخضب كفيه . . تحسس جسده ليتعرف على مصدر الدم فلم يجد . . أدرك إنه حينما وقع على كفيه سقط على أشلاء شخص دمره الانفجار المروع . . أخذ يمسح الدم بالرمل حتى تلاشى . . أما الجير فقد أثار حساسية فى جسمه فقام بدعكه بالرمل ثم خلع ملابسه التى كانت بيضاء ونفضها عدة مرات ليعيدها إلى لونها الأصلى . .

شعر بالعطش والرغبة فى الأكل والدفء حيث برودة الجو فى عصرية يوم من أيام بداية فصل الربيع . . شد كتفيه واستمر فى السير . . نظر إلى السماء . . كانت صافية صفاء لم يعهده بينما الصمت المطبق يرعب جوفه . . بالكاد لمح فى السماء طائرا . . سار باتجاهه لأن الطيور توجد متى وجد الماء . . حسبما تعلم من الروايات التى كان يقرأها . . سار أكثر من ساعة . . وكانت

الشمس توشك على المغيب . . انكمش داخل تجويف بين قطع الصخور ليتقى لفح الريح . . جلس فترة قصيرة ثم استمر فى الصعود وحينما وصل إلى القمة لمح بالكاد على البعد سهول الوادى . . فاطمأن قلبه وجلس قليلا ليستريح حتى يستطيع مواصلة السير بعدها . .

اخترق الصمت صوت همهمات وحركات أقدام حذرة . . ارتعب من أن يكونوا أرسلوا جنودا للبحث عنه . . تلفت يمنة ويسرة ليعرف مصدر الصوت . . حاول النهوض ليتقصى الحقائق لكن شكه فى وجود إنسان قريب منه تأكد . .

صرخ صوت قوى : عندك . . مفيش حركة . .

حاول الالتفات للخلف لكن الصوت كرر نفس الأمر . . وأضاف : روحوا كتفوه . . وهاتوه المملكة . .

أمسك به اثنان وقيدا رجليه بالحبال ثم حملاه فيما بينهما إلى أسفل ودخلا به مغارة . . كان عدد الأفراد الموجودين بالمغارة لا يزيد عن عشرة . . بينهم شخص قصير نسبيا وأنحف يجلس على كرسى محفور من الحجر ومرتفع نسبيا أيضا . . يبدو أنه رئيسهم حيث طلب منهم الجلوس فجلسوا بينما أقعدوه فى

الوسط وقاموا بتقييد يده ! ! تحدث الكبير فقال : ماذا أتى بك إلى مملكتنا؟؟ هل أنت جاسوسهم؟؟ قل الحقيقة ولا تكذب فنحن سنكتشف كذبك وسوف نعاقبك عليه . . وسنثيبك على صدقك أيضا . .

حاول أن يتحدث لكنه توقف وأجاب السؤال بسؤال حذر : من أنتم؟؟ أأنتم الشرطة؟؟

ضحك الجميع ضحكات هيستيرية عالية لكن الكبير صرخ وقال : كفى . .

ثم وجه حديثه لفخر : لسنا شرطة . . نحن لا نعترف بشرطتكم يا معشر أهل الوادى . . نحن مملكة بلا شرطة . . جميعنا ملوك وجميعنا نحب مملكتنا . . إنكم تحبون الطغيان كعادتكم . .

قال فخر : أنا لا أدرى شيئا؟ جاسوس لمن وضد من؟؟ ومن نحن ومن أنتم ومن هم معشر الوادى؟؟

قال الرئيس : هذه هى صفاتكم يا معشر الوادى . . تفهمون وتدعون البلادةوتبلدون وتدعون الفهم . . إن لم تقل الحقيقة سنقتلك عقابا لك . .

قال فخر : سأقول الحقيقة . .

تمهل برهة لكنه استطرد على همهمات الرئيس تطالبه بالإفصاح . .

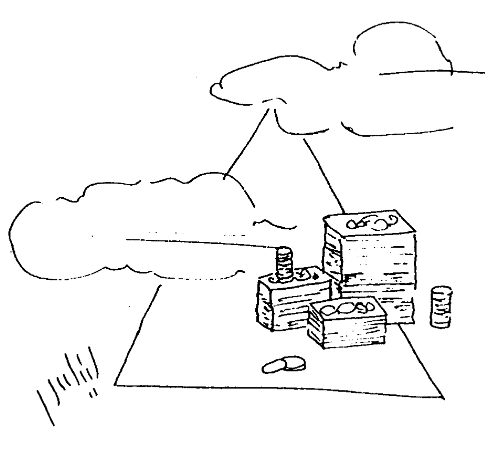
إنني محكوم عليّ بالسجن خمس سنوات في قضية سرقة . . جريمة لم أرتكبها ولكنني ظلمت فيها بشدة . . لقد تحطمت أحلامي وآمالي كلها . . تركت أخي الأصغر ولا أدري مصيره دون مال . . والفتاة التي أحبها وأنتوي الزواج منها يعوقني عنها الفقر . . وحتى إن وكيل النيابة اعتبر فقري وحاجتي للمال قرينة ودليلا للسرقة ضدي . . لقد حطمني الفقر وأدخلني السجن ولا أدري ما مصير أخي وحبيبتي وأمي وأهلي في البلد . .

توقف عن الحديث بينما حاول أن يمسح بمفصل رجل بنطلونه الدموع المتساقطة من عينيه . .

لكن الرئيس أخرج صوتا يعني مطالبته بالاستمرار إلا أن فخر الدين طلب أن يرتشف جرعة ماء فأحضروه ثم قال وهو يرتشفه :

لقد حدث في أثناء تكسير المساجين للأحجار في منطقة على مسيرة نصف يوم من هنا وهو عمل شاق أن انفجر لغم

فحدث هرج ومرج وانتهزت الفرصة للهروب حتى وصلت إليكم . .



قال الرئيس معجبا . . شئ جميل أن يلهث المرء خلف حريته . . لقد قيدوا حريتك فى السجن . . أليس كذلك؟؟

قال فخر : تعم بالتأكيد . .

قال الرئيس مشيرا لرجاله : خذوه لمكان آخر حتى نجرى استفتاء على أمره . .

صمت لحظة بينما هم رجلان تجاهه . . لكن على إثر حركات تعنى الاعتراض من باقى الأعضاء استدرك يقول :

دعوه . . فمن المفيد أن يسمع الآراء بأم أذنيه . . هذه هى معالم الحرية التى نحن حماتها وحراسها . . مادام يصدقنا القول . .

كان الجميع يلبسون زيا ذا لون خمرى من قطعة واحدة بينما الرئيس كان يزيد على هذا اللون بخط أحمر يأخذ شكل المثلث قاعدته من الرقبة . . كانوا منظمين جدا . . حيث تبدأ المناقشات كما لو كانوا أمام محكمة . . لكن المترافع يبدأ الحديث ليس للرئيس بل يقف بجواره ويتحدث للجالسين حتى ينتهى فيعود للجلوس ثم يؤدى الذى يجلس بجواره نفس العمل . .

قام الأول فأشار بيده للرئيس كتحية ثم وقف بجواره وقال :

باسم الله . . باسم المملكة . . باسم الحرية المبتغاة أدلى بدلوى ولكم رأيكم الحر . . أن الأسير الذى بيدنا هو شهيد وضحية لفقدان الحرية . . ولذلك فإن مملكتنا مملكة الحرية يجب أن تكفل له الحرية والحماية وأن تظله بظلها . . هذا رأيى ولكم رأيكم . .

بينما قال الثانى فى سياق حديثه : إن الأسير الذى بيدنا هو نفر من عالم الشر والطغيان . . جاء ليلوث حضارتنا ويعيدها لعالمهم الرجعى المتخلف . . ويجب علينا أن نكون أكثر حرصاً وحذرا فى الدفاع عن المملكة ولذا أرى قتله . .

وقال الثالث فى سياق حديثه : أنا مع زميلى السابق فى رأيه

وأزيد أن الأسير ربما يكون جاسوسا وإطلاق سراحه أمر غير مرغوب فيه وخطير على حضارتنا التقدمية . .

وقال الرابع : إننى لا أحبذ قتل النفس البشرية لمجرد الشك فى انتمائها فهذا ظلم لا يتفق مع الحرية . .

وقال الخامس : يجب أن نفكر فى حل وسط . . لا يراق فيه دم ونحتفظ بقوتنا واستقلالنا ولذا أقترح أن يمر الأسير باختبار لا يستطيع الكذب فيه . .

وقال السادس : أنا أؤيد الرأى السابق وأن تعقد لجنة من الحكماء المنتخبين ليقرروا نوع الاختبار . .

قال السابع : أنا مع الرأى السابق . .

قال الثامن : أنا مع قتل الأسير . . فعالمهم لا يأتى منه سوى الشر . . ربما يكون جرثومة تنقل إلينا فوضى عالمهم وتعدينا بداء التعسف والفساد . . وهنا غضب الجميع معترضين على تلميحاته بأنهم ممكن أن يتحولوا إلى فاسدين . .

وقال التاسع . . أنا مع رأى الاختبار الصعب . .

انتفض الرئيس بعد ذلك ليقول : إذن النتيجة ٤-٣-٢ لصالح رأى الاختبار الصعب . . والآن فلنفك وثاق الأسير ويؤخذ

فى الحجرة رقم ١٢ لحين صدور رأى الحكماء المنتخبين . . أخذوا فخر الدين للحجرة رقم ١٢ بعدما فكوا وثاقه . . كانت الطرقة طويلة تدل على وجود أكثر من عشر حجرات مصنوعة من الطوب الأسمنتى . . أما الحجرة التى ألقوه بها فكانت مظلمة شيئا ما وليس بها سوى سرير حديدى . .

فكر فخر الدين كثيرا فى هؤلاء الناس الذين يرتدون زيا موحدا ويتحدثون بنظام شديد . . يا ترى من هم؟ كيف التقوا وتعارفوا؟ وماذا فعلوا بأنفسهم؟ وما هى حقيقتهم؟ . . يا ترى هل هم بشر مثلنا؟؟ أم أناس خارقون؟ . . لا يبدو أنهم ليسوا بشراً وليسوا أناسا خارقين للعادة . . بل إنهم ليسوا بشرا . . ربما هم من الجن . . بالتأكيد وإلا فلماذا يفصلون بين عالمهم وعالم الوادى . .

ثم ماذا عن حكاية الكهرباء التى تضيئ المكان ولا يرى مصدر للضوء . . وكيف أتت؟؟ ومن أين يأكلون ويشربون وهم فى صحراء قاحلة؟؟ حتما هم ليسوا بشرا بل من الجن . .

سرت فى جسد فخر الدين قشعريرة . . وأخذ يردد بعضا من القرآن الكريم بينما ارتكن فى زاوية من جانب السرير جالسا القرفصاء . انفتح الباب ودخل اثنان من الرجال لاصطحابه خارجا . . أراد أحدهم الإمساك بيده لمساعدته إلا أنه زاد من

رعشته وأخذ يتطلع إلى عيونهما بشدة عسى أن يلاحظ احمرارها المتقد حسب ما يشاع عن عيون الجن . . ثم أزاح أيديهما ففهما أنه يريد السير بمفرده . .

عاد معهما إلى الغرفة الأولى التى يطلقون عليها دار الندوة قال الرئيس وكأنه حزم الأمر : اسمع يا هذا . . قل لنا ما اسمك . .

فخر الدين : اسمى فخر الدين . .

استطرد الرئيس : اسمع يا فخر الدين . . سوف نعطيك فرصة أفضل للحياة . . ولكن ينبغى أن نسألك عدة أسئلة فى البداية . .

أشاروا عليه بالجلوس فى مقعد يتوسط المقاعد وجلس الرئيس فى مواجهته مع شخصين آخرين ولم يكن موجودا غيرهم . .

قال أحدهم : هل أنت مستعد للسؤال؟؟

قال فخر الدين ومازالت الرهبة تتملكه : أشعر بالجوع . . جفاف شديد فى حلقى .

قال الرئيس : إذن فليطعم . . فلا عقل يعمل والبطون فارغة . .

ثم أشار للرجال بإحضار الطعام . . لم تمض سوى دقائق قليلة . . حتى حضر شخص ليصطحبه إلى غرفة المأكل . . كانت مائدة طويلة من صنوف متنوعة الطعام . .

انبهر فخر الدين من سرعة إعداد الطعام ومن حجمه الكثير جدا . .

قال للرجل الذى يرافقه : كيف فعلتم كل ذلك؟؟

لكن الرجل الذى كان واقفا بجواره كالصخر لم يتحدث أراد تكرار السؤال لكنه أدرك أن الرجل لن يجيبه فاستمر يأكل بشره حتى أصابته التخمة . .

التفت حوله يبحث عن حنفية مياه فلم يجد . . فمسح يده بقطعة من القماش كانت بجواره . . أراد أن يقوم لكن الرجل سأله : ماذا تريد أن تشرب؟؟

قال فخر الدين : قهوة . .

قال الرجل : القهوة ممنوع شربها هنا . .

تفحص فخر الدين السبب هارشا فى رأسه ثم قال : إذن شاى . .

مد الرجل يده فى شئ يشبه الشباك بكوب فارغ فانصب منه شاى يغلى ووضعه أمام فخر الدين . .

بسرعة شرب فخر الدين الشاى . . ثم وقف . . فتح الرجل

الباب وأشار إليه بالسير معه تجاه دار الندوة . .

ما أن وضع فخر الدين قدمه فى الدار التى لم يكن بها أحد حتى خرج من خلف طرق كانت مغطاة بستائر خمرية الرئيس والرجلان . . كل جلس فى نفس مكانه السابق . . قال الرئيس :

بعد تناولك الطعام . . تستطيع التفكير . . أليس كذلك؟؟

أومأ فخر برأسه كعلامة رضا . .

قال أحد الرجلين : نحن مملكة الحرية . . فما رأيك فى الحرية؟ .

فخر الدين : الحرية . . من منا يكرهها . . بل من يكرهها فى العالم؟ !!

قال الرئيس : شئ رائع ولكن . . ألا تحب شيئا أفضل منها؟؟

فخر الدين : لا أفهم . .

تحدث أحد الرجلين : ألا تحب السيطرة والملك والنفوذ مثلا؟؟

فخر الدين : لا . . فليست من هواياتى السيطرة والملك فهما من خصائص الملوك . . ثم أن لى فتاة أحبها . . هل لو وجدتنى مسيطرا ستقبلنى؟؟

قال الرئيس : إذن . . تحب فتاتك وتريدها بالقرب منك؟؟

أومأ فخر بالإيجاب . . فاستطرد الرئيس يسأل . .

حسنا . . وما المانع من قربها منك؟

أجاب فخر : . المال . .

قال الرئيس : المال؟ ! !

صمت ثم استطرد : هل يمثل ذلك المال مشكلة؟

قال فخر الدين : نعم . . المال يمثل مشكلة لى بل يمثل المشكلة الوحيدة فى حياتى . . فلولاه ما أحبط حبى وعلاقتى مع فتاتى التى أريد الزواج بها . . لكنها ثرية وأهلها ماديون . . بينما أنا فقير ولولا المال ما بحثت عن عمل يبعدنى عن ممارسة هوايتى فى قراءة الروايات والكتب . . ولولا المال ما ذهبت إلى السجن فالتحاقى بالعمل ألحقنى بالسجن . . بل إن وكيل النيابة أخذ فقرى وحاجتى للمال قرينة تدفعنى للسرقة . . إن العالم فى وادينا المتعفن كما تحبون الإطلاق عليه يعبد المال .

توقف . . ثم قال مواصلا : المرء يقتل ويسرق ويزنى ويصبح غشاشا وديوثا وقوادا ومنافقا ونماما وندلا وجبانا مقابل بضعة جنيهات أو المئات أو الألوف منها . .

تعجب الجالسون مما يقول فخر الدين بينما واصل يقول :

إنكم لا تعلمون كيف أصبح الحال لدينا . . هناك دين جديد يعبده الناس ربه الجنيه وصلواته كل المنكرات والآثام . .

نظر الثلاثة إلى بعضهم بينما لمعت فى عيونهم فكرة بارقة صمتوا لحظة كما لو كانوا قد اتفقوا على شئ فى نفوسهم ثم تحدث الرئيس وقال :

ماذا تفضل . . الحرية أم المال؟؟ بمعنى ما معيارية السعادة لديك . . إن شئت لديكم فى عالمكم؟؟

صاح فخر الدين وكأنه واثق تمام الثقة : المال . . المال . .

قال الرئيس : سوف نعطيك المال ونسلبك الحرية . . ونراهنك على فشلك . .

قال فخر الدين منتشيا : سوف تعطوننى مالا . .

تعجبوا من انتشائه ومن غبائه كما لو كان فأراً للتحاليل فى معمل علمى متخصص . .

قال الرئيس سوف نمنحك خمسين ألف جنيه مصرى ونسلبك حريتك ألف يوم وليلة . . ومتى تشاء التراجع عن الرهان يمكن لك وسوف نطلق صراحك دونما تقاضى شئ . . وسوف نزورك كل أسبوع أيضا .

سخر فخر الدين من سذاجتهم بقوله : سوف أجد مأكلى ومشربى إذن . .

قال الرئيس : لا عليك بشئ فكل ما ستطلبه ليس عليك سوى ذكر اسمه بصوت عال ليحضر فورا مهما كان . .

ضحك فخر وقال : سوف تكتشفون خطأكم وضياع وقتكم ومالكم . . ووقتها ستندمون . .

قال الرئيس : لسنا نادمين ولنبدأ من الآن . .

نفذوا الرهان فى فخر الدين . . كان جناح كبير من الموقع تحت إمرته ، لأن الخدمة التى وجدها لا تقدم سوى للملوك . . فراش وثير وكراسى مريحة وسجاد فخم يفترش الأرض ومكتب بجواره مكتبة مليئة بالكتب القديمة والجديدة لمؤلفين محليين وأجانب . . ويطل على تلك الحجرة باب يصل لحجرة أخرى كانت بها مكتبة أكبر . . كتبها متنوعة المزاج والاتجاهات وتطل على باب آخر للحمام الفسيح الذى شيد وكأنه مجهز لأمير فى ألف ليلة وليلة . . كما أن به ركنا منزويا به آلات لكمال الأجسام وفيديو وأشرطة ضوئية لصفحات العديد من الكتب . .

ويتصل بهذه الحجرة الأخيرة مطبخ فخم ليعد فيه الطعام

بنفسه إن أراد تسلية الوقت . .

كان منبهرا أشد الانبهار لدرجة أنه أخذ يضحك ضحكات هيسترية عالية من فرط استخفافه بهؤلاء الناس . . وأمزجتهم الغريبة . . قال لنفسه بعدما ضاق بالفرجة على الكتب وهو يلقى بجسده ممدا على السرير . .

ياه . . تعب شديد . . يبدو أننى مدمر تماما . . يجب أن أنام . . نومة الهنا . .

ياه عينى لا تستطيع أن تنفتح حدقاتها . . ياه . . ياللتعـــ . .

كان يخرج شخيرا كما لو كان طاحونة حجرية تعمل . . لم يخلع حذاءه وتركت ملابسه الرثة أثرا واضحا فى تلويث مفروشات السرير البيضاء بالرمل والجير . . وبعد أكثر من ١٥ ساعة نائما نهض متراخيا . . فسقط بصره على السرير فوجده متسخا ، ، وفى المرآة الضخمة التى تملأ جانبا من حوائط الحمام شاهد اتساخ ملابسه . . دفعه ذلك والحساسية التى سببها الجير . . لأن يبدأ يومه الأول بالاستحمام وتغيير تلك الملابس الرثة . .

سأل نفسه : لكن ترى هل توجد ملابس أخرى . .

نظر حوله فوجد ما يشبه بابا فى الحائط . . شد مقبضه

فانفتح الباب . . كانت به غيارات كثيرة ومفارش للسرير وفوط . . مد يده باحثا عن غيار لارتدائه فوجد أكثر من عشرين قطعة متشابهة تماما من نوع الملبس الذى يرتديه أهل هذا المكان فى اللون والخامات . .

التقط أحدها وتطلع لبانيو . . قابلته مشكلة تسخين المياه لكنه اكتشف أن درجة حرارة المياه لا ساخنة ولا باردة بل لا تكاد تشعر بتبلل اليد بالماء إلا عن طريق الإبصار مما يدل على أنها مضبوطة حراريا على درجة حرارة الجسم . أدرك أن درجة الحرارة فى المكان كله مضبوطة على درجة حرارة الجسم أيضا . . حيث لا يوجد بطانيات إطلاقا ولم يشعر بالحرارة أو البرد طوال الوقت . .

تطلع فخر الدين ثانية إلى المرآة فاكتشف أيضا أن شعر ذقنه وشاربه كبير . . لم يجد ماكينة الحلاقة فأراد تأجيل ذلك لليوم الثانى . .

ملأ البانيو بالماء ،وخلع ملابسه ومكث بداخله . . حدث نفسه عن حاجته لوجود صابون فكر فى كيفية قيامهم بضبط المكان حراريا بدرجة حرارة الجسم . . فهل وصلوا لهذه التقنية وهم فى صحراء قاحلة . . بل إن الكهف بكامله أسفل سطح الأرض . .

وقع بصره على حنفية أخرى بجوار حنفية الماء . . فتحها فوجدها صابونا سائلا . . ووجد فى الصبانة التى على هامش سطح جسم البانيو علبة مكتوبا عليها مزيل للشعر . . فتح العلبة فخرج منها كريم سائل دهن به شاربه فوجده يسقط فى أصابعه فاستمر فى الحلاقة . .

أمضى فخر الدين أكثر من ٣ ساعات فى استحمامه . . ولما انتهى من الاستحمام وارتداء الملابس . . مشط شعره ثم نادى مطالبا بإحضار إفطاره من لبن وزبادى وبعض الحلوى والشاى . . ولم تلبث دقائق حتى امتدت له من الشئ الذى يشبه الشباك خشبة موضوعا عليها الإفطار . . قام باحضاره وتناوله ولما فرغ . . قال لنفسه يجب أن أستريح بعض الشئ لأخطط كيفية قضاء الألف ليلة ونهار . . جلس فى مكتبته وأخرج دفترا وسجل فيه مرور اليوم الأول . .

قال يجب أن أخصص ساعات للقراءة يوميا ولتكن من الساعة السادسة مساء حتى منتصف الليل وليكن فى اليوم التالى كتابة تلخيص ما قرأته منذ الساعة الثالثة عصرا حتى السادسة . .

وبذلك ستتبقى ست ساعات تكون لقضاء الحاجيات من استحمام وحلاقة وترتيب الفراش ومسح الأرض وغيرها من

أعمال قد تستجد . . أما أوقات النوم فمن الواحدة صباحا حتى التاسعة وليتها تكفى . .

تطلع إلى المكتبة . . نهض ليمسك بأحد الكتب لكنه قال لنبدأ القراءة من الغد . . فهذه المكتبة أقيم من أى مكتبة رأيتها فى حياتى وسوف أجد ضالتى التى يحرمنى الفقر منها وهى قراءة كتب الأدب والتراث العالمى . .

سرح بذهنه ثانية إلى حقيقة هؤلاء الناس حينما ذهب للتمشية إلى الحمام فشاهد نفسه فى ملابسه الجديدة . . فأخذ يختال بها راقصا لكنه توقف وكأنه يتذكر . . قال لنفسه : يا ترى من هم؟ هل هم حقا جن أم أننى أهذى وما هم سوى بشر طيبين؟ أم فلاسفة باحثين عن الحقيقة؟ فلو كانوا جنيين ما تركونى حيا فالجن أشرار يكرهون الإنسان . . ويمكننى التغلب عليهم بقراءة القرآن؟ ويبدو أنهم كذلك وإلا فكيف بنوا هذا المكان أسفل الارض . . ولماذا يحقدون على سكان الوادى؟ وكيف تجمعوا وتلاقوا وتعارفوا وهم لهم نفس المزاج والافكار . .

لكن هل يخشى الجن الإنسان خاصة لو كان هذا الانسان غير متدين . . إنهم يخشون من أن أكون جاسوسا . . أى أنهم يخشون عدوا من البشر ولو كانوا جنا لاستطاعوا التخفى منه . .

فهل يكونون بشرا مطاريد . . حتى المطاريد كيف يتسنى لهم الوجود والبقاء هنا وبناء تلك المواقع فى هذا المكان ومن أين حصلوا و يحصلون على الطعام والشراب . . إن أى شئ أطلبه لا تمر ثوان أو دقائق على الأكثر حتى يحضِروه . .

ياه . . كم الأمر محير جدا . . ليسوا بشرا وليسوا جنا . . إذن فمن يكونون . . هل هم جنس ثالث؟ .

ملائكة . . ولما لا . . ولكن هل الملائكة أشرار؟؟ انهم أرادوا قتلى لمجرد الشك . . إذن فهم ليسوا ملائكة إطلاقا . .

قال مجلدا نفسه :

يبدو أن الموضوع معقد والتفكير فيه معقدا أيضا فلنتركه . . أوه . . ترى كيف حالك الآن يا نور؟؟ هل جعت فى القاهرة أم لا؟؟ لا . . نور شخص ذكى ويستطيع تخليص نفسه من أى أزمات ولا يخشى عليه . . بل يخشى على من يتعاملون معه . .

ضحك ثم واصل التفكير . .

ترى هل سينجح هذا العام؟؟ أحسبه الآن يذاكر الرياضيات . . تلك المادة التى كان يكرهها بشدة احتمال أنه يذاكر الأحياء لأنه يحبها . . واحتمال وعلى ما يبدو أنه يذاكر فى كتابة خطاب لفتاته . .

وقال بصوت مسموع ومازال محتفظا بابتسامته : إن لهذا الصعلوك فتاة بالتأكيد أيضا فكل الناس كذا . . وأظن أن نور صاحب حس مرهف . . لكن ليته لا يتعذب بالحب مثلى . .

انقبض وجه فخر الدين وواصل الحديث .

عبير . . يا فتاتى . . أوه ليست فتاتى . . بل فتاتى . . فهى تحبنى حبا شديدا وهى قادرة على فعل أى شئ من أجلى . .

ولكن ماذا ستفعل تجاه إنسان عاجز عن اتخاذ أى قرار . . هو أمامها مجرد دمية يحركها الآخرون حسب أهوائهم وإرادتهم . . الآخرون الذين يملكون المال يستطيعون فعل أى شئ . . أما أنا فلا أستطيع لأننى أفتقد لسحر المال .

لكن سوف أستطيع حينما أتقاضى مبلغ الـ ٥٠ ألف جنيه . . سوف أفعل كل الخير . . سوف أمتع نفسى بحبها . . وأتزوجها وأسكن معها فى شقة جميلة تختار موقعها ومساحتها هى بنفسها . .

قال وهو يعود للانقباض . .

لكن هل سيمنحونى المبلغ بعد مرور الألف يوم . . أم أنهم مخادعون أرادوا تسلية وقتهم؟ لكن هل ممكن أن يسلى أحد نفسه

بمثل هذا العذاب الذى أسببه لهم من خلال النفقات على معيشتى وحياتى المرفهة جداً فى هذا المكان . . إننى أقضى هنا أجمل سنى حياتى . . أما عن الألف يوم فهى قليلة وسوف أسلى نفسى خلالها بشتى الطرق . . سوف أحلق كل شعرة فى شاربى على حدة ولن استخدم المزيل لحلاقة ذقنى . . سوف أستحم كل يوم فى المساء والصباح . . سوف أقضى وقتا طويلا فى تغيير ملابسى مرتين يوميا وأرهقهم بغسلها . . سوف أقرأ كل يوم فى رواية وفى عمل فكرى أو مسلٍ . . وسوف ألخص وبتأن ما قرأته . .

ضحك فخر الدين ضحكة سخرية وقال : سوف أعيش حياة الألف ليلة وليلة وأسخر من هؤلاء القوم . . إننى بالنسبة لهم مثل شهريار ولكن بدون شهر زاد للأسف . . أوجه لهم الأوامر وهم لا يملكون سوى تنفيذها . . أوه إنها أوامر منقوصة . . فليست كل الأوامر . .

ثم صمت لحظة ووقف وكأنه تذكر شيئا نسيه ثم اتجه ناحية الصالة وقال لنفسه . . يجب أن أنظم هذه الكتب . . سأجعل كل نوع منها على حدة . . لا سأجعل أعمال كل كاتب على حدة . . شرع فى العمل لكنه توقف وقال . . لا . . أعمال كل كاتب على حده سوف تكثر من حجم التصنيف . . الأفضل جعل الأعمال

حسب طبيعتها العاطفية مجتمعة ، والسياسية مجتمعة ، والثقافية مجتمعة والفلسفية مجتمعة . . . ولكن صعب الفصل بين تلك الاتجاهات فهناك كتب تجمع بين كل ذلك . .

ولكن لا مفر مد يده ليمسك بأول كتاب ووضعه فى مكان منعزل وهذا الثانى والثالث . . ثم توقف . . فكر فى أن يكتب التصنيفات أولا على ورق يسجل كل كتاب فى خانته ويضعه فى مكانه المخصص . .

أمسك بدولاب الكتب ونفضه من كل الكتب التى بداخله مرة واحدة . . ثم بدأ فى تصنيفه كما يشاء شعر ببعض الإجهاد فتوقف منتظرا الشاى الذى نادى طالبا له . . وبعد تناول أول رشفة منه . . رغب فى تدخين سيجاره . . فنادى طالبا لها فأحضروا له منها علبا كثيرة . . التقط إحداها وأشعل واحدة . . ولما انتهى عاد ثانية لمزاولة عمله . .

كانت قد مرت ساعة أو اثنتان فعاد للتوقف ثانية طالبا تناول طعام الغداء الذى حضر له سريعا أيضا . . بعدما تناوله جلس لحظات فى انتظار الشاى وقبيل أن يشعل سيجارته حضر الشاى فتناوله بهدوء . . بعد ما انتهى شعر بحاجته للذهاب إلى دورة المياه . . هناك وقع بصره على ملابس السجن التى كان يرتديها . .

فأعادته للتفكير فى حادث الانفجار . . ترى كم عدد الذين ماتوا فيه . . كم هم مساكين؟؟ حتى السجون لا تحميهم من غدر الطبيعة . . تزيد من آلامهم إن اصيبوا وتريحهم من آلامهم نهائيا إن ماتوا .

تبسم بسمة يكسوها الشجن واستطرد يفكر : مسكين هذا المسجون الذى وجدته فرحا بالحكم عليه بـ ١٥ سنة حبسا . . كان يقول إن السجن بالنسبة له أمنية صعب منالها . . سيعيش ويأكل وينام دونما تفكير وكله على حساب وزارة الداخلية كانت تهمته سرقة ، وهى التهمة التى تعهد بالتوبة عنها داخل السجن والعودة لها خارج السجن متى تقطعت به سبل الحياة الشريفة ثانية . . قال لنفسه متألما . .

عساه يكون قتل فى هذا الانفجار . . استراح للأبد . . لتكون كل حياته دون اختياره فى رحاب خالق الكون العظيم . . نظر إلى يده ثم قال : قد تكون يداى تلطخت بدماء هذا المسكين ثم استدار فى جلسته يميناً لكنه عاد ليتحدث كأنه تذكر شئا . . ياه . .

ترى ماذا حدث لهذا المسجون الذى كان يثير الشغب عادة فى العنبر ومع الحراس؟ كان يردد دائما أنه مظلوم وكان دائم

الحديث بشأن ابنته التى كانت تجهز ليوم زفافها حينما قبضت الشرطة عليه بتهمة التزوير بينما هو فى انتظار موعد الزيارة حتى يطمئن قلبه بأخبارها . . كان يخشى أن يفسخ خطيبها الخطبة . . يخشى عليها من الهلاك حزنا على خطيب مفقود وأب مسجون . .

قال متأسيا . .

مسكين كان يعتقد أنه سبب دمار مستقبلها ومصدر العار الذى يلاحقها ويشوه جمالها ورحل دونما يعرف حقيقة هذا الاعتقاد . .

وماذا عن رجال الحرس . .

بهذا السؤال استطرد فخر الدين يفكر : هل سيكون من مات منهم أيضا حارسا فى العالم الآخر أم ستتساوى الرءوس أمام الواحد القهار . . السجان والمسجون . .

السجان . ترى فعلا هو الذى سلب الحرية من السجناء؟؟ أم أن أفعال الإجرام التى يرتكبها المجرم هى التى تسجنه أو لنقل أهلته لهذا السجن . .

أليس هناك مساجين أبرياء كما أن جميع الطلقاء غير أبرياء؟ . . ترى من يحاسب على حبس برئ؟ . القاضى الذى حكم بحرمان نفس من حريتها؟ . أم شرطى قبض على حر

ليضعه فى محبس الحريات أم الخصم الذى أبلغ الشرطة أم شاهد الزور الذى قال ما لم يرآ ويسمع أم كل هؤلاء؟ .

آه . . كل الأشياء تبدو معقدة . . صرخ بذلك ثم عاد صامتا . . ثم تحدث ضاحكا فى أثناء تجوله بين الطرقات . .

سوف أمتلك خمسين ألف جنيه . . سوف أكسب الرهان . . يظنون أن الحرية تأتى بالمال . . كم هم بلهاء لا يصدقون أن المال يأتى بالحرية أننى هنا أعيش ملكا ، جميعهم مسخرون لخدمتى . . اننى افقدهم حريتهم وليسوا هم الذين يفقدوننى حريتى . . حتما سأكسب الرهان . .

سكت . . ثم حملق فى صورته أثناء وقوفه أمام مرآة الحمام وقال لنفسه . .

يبدو أننى هنا مرتاح للغاية . . فقد بدأ جسمى فى اكتساب بشرته الطبيعية البيضاء بينما ذهب الصداع الذى كان لا يفارق جانبى رأسى ، يوه . . كان له تأثير سئ فى قدرتى على التفكير . . ملعونة تلك الأنيميا التى أعانى منها حينما كنت هناك . . ليتنى كنت هنا طول العمر لأضمن صحة جيدة .

لا . . لا . . ليس طول العمر ، ، بل الألف يوم . . وإلا فما فائدة الفلوس التى سوف آخذها إن لم أنفقها وأتمتع بلذة الإنفاق . .

عاد ثانية بينما كان يقلب كتبا فى يده بجوار المكتبة الملقاة على الأرض دونما تركيز . .

ترى هل تنتظرنى الألف يوم . . هل تستطيع عبير احتمال أمر غيابى ؟؟ هل سيؤثر أمر كونى سجينا هاربا فى حبنا؟ . أمر غريب . . كيف تعشق تلك المسكينة سجينا . . خاصة أنه هارب . . طريد العدالة والمجتمع . . إذن المطلوب منها أن تصمد من أجل فارس فقير ، مرفوض من الأهل ، لص . . محكوم عليه بالسجن ويجب عليه الاختفاء . . أمر صعب حقا بل مستحيل أن تصمد مهما كان عمق حبها لى . . يعنى ممكن أخسر حتى عمرى كله . . كابوس . . كابوس . . قالها فخر الدين بينما الدموع تساقطت من عينيه وتساقطت الكتب من يديه . . أكمل جلسته على الأرض واضعا رأسه بين رجليه وبقى لحظات يضغط عليها ثم نهض وكأنه يحاول تجميع فكرة سعيدة قال :

لا بأس عموما . . فبالخمسين ألف جنيه لن أكون فقيرا ووقتها لن يرفضنى أهلها وسوف أمنح الشركة مبلغا كثمن للبضاعة المسروقة وأعتقد أنه لن يزيد على الـ ٥ آلاف جنيه ووقتها سوف تقدم الشركة أوراقا للنيابة تفيد وجود خطأ لديها فى الحسابات ولم يسرق منها شئ . . لأن الشركة أيضا يفيدها عودة

المبلغ ولن تستفيد من حبسى . . أما عن كونى لصا
فسوف أجعل الشركة تقدم لى شهادة ترك خدمة تشيد فيها
بنزاهتى وأمانتى وأضعها لوالد عبير بين يديه . .

رفع فخر الدين صوته يقول : ألم أقل أن كل الاشياء
تباع وتشترى وأن المال هو كل شئ وليس جزءا منه ، بل إنه
جعلنى أستطيع أن أفكر بشكل جيد ، ربما بذلك استطيع أن
أقدم تفسيرا آخر لأسباب فقر الفقراء ، إنهم عاجزون عن
التفكير السليم منه لا يأتى إلا بتأن واستقرار وهدوء وغذاء
عقلى وجسمى وكل هذا لا يتأتى إلا بالمال . .

توقف فجأة عن التفكير بينما سقط بصره على غلاف
كتاب اسمه (رأس المال) قال لنفسه ربما هذا الكتاب يوضح
لى مدى سلطة المال واستطرد يقول : إنه لماركس زعيم
الفقراء المطحونين ، سأبدأ به غدا ، فلأضعه بعيدا والآن

أكمل ترتيب المكتبة . . أنه عمل شيق ترتيب الأشياء خاصة لو كانت كتبا قيمة . .

انهمك فخر الدين فى ترتيب المكتبة حتى انتهت عن آخرها . . وقف بعيدا يتأمل منظرها الجميل . . ثم التقط كتابه وكأنه يحمل كنز ثمين وأخذه بجواره على المكتب الذى خصصه للفقراء ، حاول أن يفتحه لكنه يذكر أن بداية أيام القراءة ستبدأ من الغد وأن اليوم فقط للترتيب . . قال : بما أن اليوم للترتيب فسأضع جدولا زمنيا للقراءة والتلخيص وإن احتاج الأمر سأكتب رواية أو روايتين . . فأنا جيد الكتابة جيداً . وسوف أنشرها على نفقتى الخاصة إن رفض الناشرون نشرها . . من يدرى قد أصبح روائيا كبيرا . .

أمسك ورقة وسطر جدولا للكتب التى ستقرأ حسب

الأهمية ، مع الاعتبار أن يتبع كتابا خفيفا للتسلية مع كل
كتاب دسم يلطف به . .

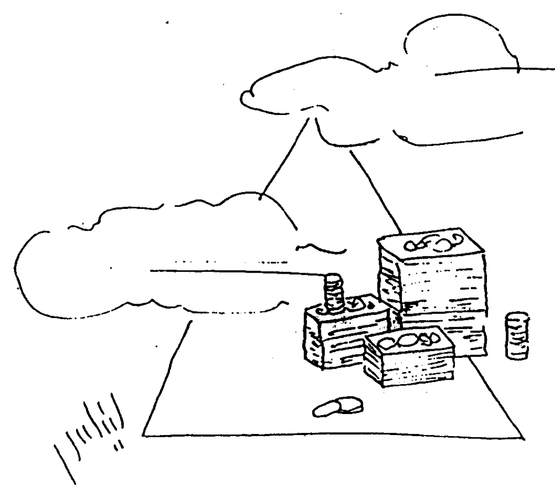
مضى وقت طويل حتى انتهى فخر من ترتيب الجدول
بتأن شديد أثناء الشاى تناول مرتين ولما فرَغ ذهب للحمام
حتى يستحم من غبار الكتب الذى لطخ يديه . .

وبعد ذلك عاد ليطلب الطعام ولما فرغ من تناوله
ذهب للفراش كى ينام . .

وفى ثانى يوم من الألفية بدأ الصباح بنقع ملابس
السجن فى الماء وقام بغسلها بالصابون ثم ربطها فى حافة
دش الماء بعد أن استحم فى البانيو ومارس طقوس كل
ظهيرة . .

شعر بشىء من الشجن ، والرغبة فى التمشية . .

امتطى الدراجة الرياضية وأغمض عينيه وأخذ يبدّل بسرعة فائقة حتى أصابه الإرهاق فذهب ليستريح فى أثناء تناوله الشاى فتذكر الشاى الذى كان يقدم لهم فى عنبر السجن ، كم كان مقززا تناول شايا سلقت فيه صراصير ونمل وحشرات أخرى بينما تشم فيه رائحة ورنيش الأحذية .



كانت الساعة الموضوعة فوق الحائط تشير إلى الثالثة . . بينما هو لا يجد شيئا يفعله دب فى نفسه الملل ، تردد فى ابتداء القراءة لأن موعدها يبدأ من السادسة مساء . . قال لنفسه : هذه المرة فقط سأبدأ القراءة مبكراً لأن التلخيص لا يصح اليوم قبل القراءة . .

أمسك بكتاب رأس المال لماركس الذى كان قد احتجزه من قبل واستمر فى القراءة لساعات طوال تخللها فقط تناوله الغذاء والعشاء وشرب الشاى وتدخين السجائر وهذه المرة أضاف لقائمة مشروباته مشروبا جديداً أسماه (عنوب) وهو عبارة عن بذور العنب المسلوقة فى الماء ، حيث يصبح لون الماء أبيض فيتم تصفية البذر وإضافة سكر للماء ويشرب ويصبح له طعم لذيذ . . لقد كانت فكرة (العنوب) مجرد خاطره طلبها فتحققت . .

شعر بالإرهاق الشديد من القراءة حيث إن الكتاب مصاغ بطريقة أكاديمية عالية خالية من الخيال مما أضاف بعدا صعبا لقراءته إلا أنه استمر فى القراءة حتى كاد يسقط الكتاب من يديه تحت ضغط النعاس . .

وفى اليوم الثالث نهض فخر الدين من نومه مغموما . . لا يدرى لماذا ربما يريد أن يحادث أحدا . . ربما لوحدته ، ربما أصابه

الملل وهى الخاطرة التى ما إن طرأت على ذهنه حتى رفضها بشدة لدرجة أنه صرخ : لا . . عدوى اللدود هو الملل . . إن انتصرت عليه فزت بعبير والخمسين ألف جنيه وبحياة أعيشها الآن وحياة حرة أعيشها بعد خروجى أما لو انتصر الملل علىّ فسوف أخسر كل شئ للأبد إنها فرصتى لأبدأ حياتى بشكل أفضل . .

استدار فى وقفته وكأنه يتدبر أمراً وقال : لماذا الملل؟؟ إن الأشياء التى يحيونها هناك أحيا أفضل منها هنا . . هنا الطعام والشراب والملبس . . أليس هناك أشياء جميلة يتمتعون بها من طبيعة خلابة وهدوء وزحام وجميلات كل هذه الأشياء موجودة لدى أيضا فى هذا المكان ، كل تلك الكتب تحمل رسومًا بالكلام لكل شئ ، ثمة أن هناك أمراأهم من تلك الكتب وهى كل شئ كان يملأ حياتى ويسبب لها تكديرا هناك مازال فى ذاكرتى . . حتى الحسناوات اللائى يملأن الشوارع بالبهجة والجمال ما زلن فى مقلتى عينى . . كل شئ مازال كما هو هنا . . مشيرا إلى رأسه . .

وأضاف فى خيالاته : سوف أحادثهن وألهو معهن فى حدائق قلبى الفيحاء . . سوف أأنس بهن وهن سينعمن بالهدوء هنا معى . .

وأخذ يتراقص طربا وكأنه يراقص إحداهن . .

مر النصف الأول من الألفية على مضض . . وكأنه دهر كامل . . بدت الأشياء رتيبة مملة . . والساعات تحولت إلى أرقام ضخمة فى لغة الفراغ ، ، لكن هذه الرتابة تعود عليها فخر الدين . . أدمنها كما يدمن سكير الخمر . . تحول إلى ساعة مضبوطة لا يصيبها عطب أو زهق . .تستطيع أن تحدد دقيقة نهوضه من النوم وربما الثانية . . وكذا أوقات شرابه الشاى وتناوله الطعام . . وربما لهذا السبب قام بإعطاب السّاعة المعلقة على الحائط لأنها كانت تزيد من توتر أعصابه وخاصة الصوت الرتيب الصادر من بندولها والذى يسبب له إزعاجاً غير عادى يذكره دائما بالزمن الذى يود أن ينساه . .

برمج نفسه تماما . . وتكيف مع الإمكانات رغم ندرة الأحداث مهما كانت تافهة ، حتى الفراغ الذى كان يشغل كل شىء استفاد منه . . فى سماع صوته وضوضائه والائتناس به . .

شقى فخر الدين حتى صار إلى ما هو عليه ككائن رتيب يشبه الحشرات فى جحورها فى بداية تحوله لهذا الكائن انتابته حالة من الهياج الشديد . . فحضر له رئيس المملكة فى زيارته الأسبوعية وكان ينتوى طلب التنازل عن الرهان إلا أنه تحت تأثير

بريق الخمسين ألف جنيه استطاع السيطرة على نفسه فعدل مطلبه من الرئيس بأن يزيد عدد زياراته الأسبوعية من واحدة إلى اثنتين وأن يرفضوا طلبه بالخروج فى أوقات قادمة حتى لو أصر هو على ذلك . .

لكن الرئيس رفض المطلبين معا لأن فى تحقيقهما دعما لكسبه الرهان وتخفيفا من العناء عليه . .

ومع مرور الأيام برتابتها قتلت الحركة فى داخله . . وكان هذا حدث طيب سيؤثر لصالح الصمود . .

وقد أثرت قراءاته فيه بشدة . . فتراه تارة يحدث نفسه وأخرى يصرخ أو يضحك حتى أن من لا يعرفه يشك فى ذهاب عقله . . كما شغلته أشياء ندر من تشغله هذا العصر لكنها أيضا كانت عاملا مهما القتل الوقت . . ففى الفلسفة شغلته إحدى قضاياها الشهيرة ونجده يفكر فيها وهى هل العقل هو معيار المعرفة أو الحدس؟؟

لكنه يعود لينتقد : إذا كان العقل فللعقل أخطاء . . وإذا كان الحدس فللحدس أيضا أخطاء . .

تنهد ثم قال : عقلى مع الخمسين ألف جنيه وحدسى يقول

إنهم لن يفيدونى . . صرخ واثبا متضجرا بقوله : أيهما نصدق . .

أثارته مسألة أخرى عن الحرية التى يتحدثون عنها فى المملكة ، ما معناها . . هل هى حرية الاختيار أم حرية المشاهدة؟؟ حرية العيش أم حرية التنظير فى القوالب المغلقة؟؟ أن حريتهم بالتأكيد قصة فكيف يعشقون الحرية ويفضلون حياة الكهوف الحديثة؟ .

فى أيام أخرى تشغله مسألة النقد الذى وجهه ياسبرز للديمقراطية ويتساءل هل حقا يتساوى صوت ريفى جاهل بصوت علامة ثقافية مضيئة كالعقاد مثلا فى صندوق الاقتراع السياسى؟ وهل حقا أن (الأغلبية) مجرد نظام فاشى يقوم على قهر الأقلية مع أن الرأى الفردى هو الأصدق فى التاريخ . . لأن محمد «ص» كان الصادق الوحيد بين خضم من أهل قريش الوثنيين؟ .

فتقمص شخصية القس كيرجارد وتشوق لعيش المحاولة الثالثة له الخاصة بالوثبة القوية تجاه المرحلة الدينية . . فأطلق لحيته انتظاراً لوقوف ذاته أمام ذات الله (س) فى وجد وخشوع . . ورغم تلك الإيمانية التى حلت به نجده يعود ليقتنع ويتناقش فى حدية نيتشه بأن المعقول هو وجود اللا معقول وكلما ضاق به التفكير وتملكه القلق من تناقص الهواجس والأفكار كان يهرب من الأفكار الى الافكار ! !

لكنه فى نهاية المطاف قرأ لتروتسكى انتقاده للعقل الذى أكد أن التفكير إفراز طبيعى من إفرازات العقل مثله مثل التبول فى وظائف الجهاز البولى . . وآمن فخر بحاجته لعدم التفكير لأن العقل يفكر ويختلق هواجس متى لم يجد ما يفكر فيه .

ومن ميكافيلية ميكيافللى طبق برنامجا للأخذ بما يلائمه من كل فكرة أو رأى يقرأه بشرط أن يكون هذا الرأى يساعده لقضاء المدة الباقية فى الألفية لدرجة أنه صار خليطا متناقضا من الأفكار . .

وقد تتغلب فكرة على أخرى مناقضة فى يوم وتتغلب الأخرى فى يوم آخر . . حيث حدث أن الحدس تغلب على منطق العقل الذى لم يستطع أن يقدم تفسيرا لحقيقة هؤلاء الناس فى المملكة وحقيقة وجوده . . وقرر فخر الرحيل متواكلا على هذا الحدس وأعطى لهذه الفكرة خمسة أيام كاختبار يرحل بعدها ما لم تطرأ فكرة أخرى . .

فى اليوم الخامس حدث أمر غريب . . حيث نهض فزعا من نومه على أثر كابوس رأى فيه أصحاب المملكة يرتدون كمامات تشبه أجهزة الوقاية الكيماوية يجرون خارج الكهف وكان حينئذ يسبقهم فى منطقة معينة توقفوا لم يستطيعوا الحراك خلفه

للإمساك به . . ثم عادوا حزانى وكأنهم مشفقون عليه من هلاك يسير إليه . . سار مسافة طويلة عبر طرق ضيقة وعرة مفروشة بشوك طويل يشبه شوك أشجار السنط . . سار بحذر شديد . . حتى وصل إلى موقع الانفجار حيث وجد الشرطة مازالوا فى مكانهم فانتبهوا إليه وألقوا القبض عليه ثم أودعوه السجن الذى كان مسجونا به أو ربما يشبهه . . لكنه خاو . . سمع صوت طرقات وشوشرة بالخارج . . نظر من فتحة بالباب فشاهد عبير تحتضن يد شخص وخلفهما الناس يسيران بخطوات منتظمة وكأنهم يبكون . . صاح يناديها . . فنظرت إليه وأشارت برأسها وكأنها تقول انتظر وسأعود . . بينما كان يعض أصابعه ندما . .

وعلى أثر هذا الكابوس تغير موقفه من قرار الرحيل وتأكد له أنها تعانى غيابه ولكن تطلب عودته بعدما يحقق غايته . .

ثم عاد ثانية ليجد حلا فقرأ لتولوستوى وأشفق على انسانية هذا الرجل البرجوازى الذى آمن بالنظرية وحينما طبقها ووزع ثروته على الفقراء فى مزرعته اتهمه الناس بالجنون بل اتهمته زوجته أقرب المقربات إليه . .

وكذا انتقد التطبيق الخاطئ للنينية . . كما فعل ستالين فى أوروبا فنتج عن ذلك ألوف القتلى والمشردين المعذبين . .

واستطاع فخر الدين بعد ذلك أن يفصل بين النظرية والتطبيق وتأكد له أن ما أقدم عليه هو الجنون ذاته . . لكون الإنسان خليطا من الأفكار والهواجس . . فهو كائن بسيط بلا تنظير . .

نظر إلى شكله فى المرآة ذات مرة . . لقد أصبح نحيفا . . تكسو وجهه شعور صفراء رقيقة . . ارتعب من الحال الذى وصل إليه رغم التغذية الجيدة التى يتناولها . .

وكان الملل قد سيطر عليه سيطرة كاملة . . حتى المسكنات لم تعد صالحة . . فالنوم اختزل إلى أربع ساعات فى تناقصه المطرد . .

كان لديه شعورقوى بالحاجة إلى الجنس . . فالمال وحده لا يمتع والحرية وعدم العوز والحاجة لا تنفع . . والاثنان لا ينفعان بدون استخدام جميع الحواس وتلبية جميع الحاجات . . الحاجة إلى الحب والكراهية والخوف والاطمئنان . . الحاجة إلى المرأة التى لا يبقى أى رجل سويا بدونها . . وهى لا تبقى سوية بدونه . . إنها حقيقة إرادة الله فى خلقه . .

اختمرت مشاعره . . صارت ملتهبة جياشة بفيض من الحنين والشوق إلى هذا الجنس الآخر . . أمسك كتابا عليه صورة

فتاة يبدو أنها تتحدث فى نظرية علمية كانت متوسطة الجمال . . لكنه اعتبرها الفتاة الوحيدة التى يحادثها ويتبادل معها مشاعر الحب والحنان والأسرة أيضا . . تطرق الأمر للتفكير فى هؤلاء الناس الذين يعيشون بدون نساء . .

قال لنفسه الفقير يحتمل فقرة معهن . . فهن قيمة عالية من قيم الوجود . . لكن هؤلاء الناس يلهثون خلف قيمة الحرية ويتركون قيمة أقوم منها هى قيمة الجمال . . قال يتمتم حتما هم كالحشرات . . بل إن الحشرات لها أنثى والشياطين وكل كائنات الكون مقسمة بين الذكر والأنثى . . فكيف يحلو لهم العيش بدونهن . .

اعتزم أن يسأل رئيسهم فى هذا الأمر فى زيارته المقبلة التى ستحين بعد يومين وكان يعتقد أنها بعد ساعات قليلة قادمة . .

لكنه تذكر ذلك فأخذ يضرب بيده على رأسه التى ارتبكت كل المعلومات بها . .

افتقد فخر الدين سكينة الليل . . وافتقاد الليل بعث بداخله حزنا طويلا . . لكونه ظلاما ومنه ينبعث السكون . . وافتقد النهار بما فيه من ضوضاء وشوشرة وإرهاق . . ومصدر هذين

الافتقادين هو أن أضواء المكان لا يتم إطفاؤها وما زالت تسير بوتيرة واحدة منذ ٨٠٠ يوم قضاها فى هذا المكان الموحش . . حتى انه أراد أن يسمع أية ضوضاء يصدرها سكان هذا المكان إلا أنه اكتشف أن المكان مجهز بعوازل صوت محكمة التثبيت . .

وبعد يومين حضر الرئيس للقاعة . . منتفخ الأوداج متهلل الأسارير . . وحينئذ كان يمتطى فخر دراجته . . ما أن لمحه حتى أسرع جريا تجاهه يحتضنه بلهفة ولم يتمالك دموعه التى تساقطت فوق كتف الرئيس الذى ربت فوق كتفه وقال ضاحكا وكأنه يختبره :

عساك تكون بخير فى ضيافتنتا . . لابد أنها أعجبتك وستقرر البقاء ألف يوم أخرى؟؟

نعم أعجبتنى . . ولكننى لم أكره شيئا يعجبنى فى حياتى كما كرهتها . .

ضحك الرئيس واستطرد فخر يصف العذاب الذى يلاقيه من فقدان حواس الكلام والسمع وأيضا البصر التى سيفقدها حتما بعدما يواجه ضوء الشمس أثناء خروجه وكان الرئيس يعلل له ذلك بأن الحرية من أعظم الهبات للإنسان . .

استسمح فخر الرئيس فى أن يسأله عن أشياء قد تغضبه فوافق له فسأله عن أمر النساء إلا أن الرئيس الذى اندهش من السؤال . . أكد له أنهم بشر يحبون ويأكلون يتوقون إلى ضوء الشمس والقمر . . ولذلك يقدسون الحرية ولهذا السبب راهنوه فسلبوها منه ليعذبوه . . وأن لديهم نساء يحبونهم وتحبهن ويغيرون عليهن وأنهن اللائى يعددن طعامه ومنهن من كانت ترأس المملكة ومنهن المتزوجات واللائى يرفضن الزواج . . فهن أحرار فى مملكة الحرية التى لا يظلم فيها أحد . . أما عن كيف تجمعوا فهو لا يتذكر كيف حدث ، وذلك لأنهم خلقوا داخل هذه المملكة وعن السبب فى تحريم القهوة فذلك لما لها من آثار مهدئة للأعصاب وقاتلة لحالة التوتر التى يتعودون على أهميتها فى كسبهم الرهان . . وأنهم لا يحرمونها . . كما أخبره أنهم صوتوا لصالح عدم منع مثل تلك الأشياء فى اجتماع الأسبوع الماضى . .

وأضاف الرئيس قائلا بينما كان فخر يتلذذ بمتعة الاستماع . .

صديقنا الأسير . . لقد أجبتك عن أسئلة ما ينبغى لى الإجابة عنها إن كنا نحرص على كسب الرهان . . فإخفاء المعلومات أحد وسائل التعذيب . . ولكن هل تعانى شيئا لا

يدخل فى نطاق الرهان يمكننا أن نجد له حلا؟؟

فتحدث فخر قائلا : نعم أعانى . . لن تخسروا شيئا إن جعلتمونى أرى ضوء الشمس أو القمر لبرهات . . إننى أريد مشاهدة قبة السماء الزرقاء وأشم هواء محملا ولو بالغبار بعيدا عن هوائكم الرطب المكيف . . أريد أن أشاهد فتاة وأريد أن تكثروا زيارتكم إلى . . أريد أن . . . .

قاطعه الرئيس قائلا :

كل ما قلت صحيح . . ولكن تحققه يعنى تنحيك عن الرهان . . فهى أشياء تندرج فى إطار الحرية . . ويؤسفنى أن أقول لك إن طلبك مرفوض من قبل مجلس الحكماء ودار الندوة التى حتما سيعرض عليهم فى الاجتماع القادم . .

هم الرئيس بالخروج مكررا عرضه بتحديد المشكلات التى يعانيها إلا أن فخر الدين كان صامتا . . لولا أن صاح متذكرا : سيدى الرئيس . . لماذا ترتدون تلك الملابس؟؟

وكأنه يريد أن يبتسم قال الرئيس : فخر الدين . . لا تقل لى سيدى . . فمملكة الحرية ليس بها سادة وعبيد ولا تقل لى الرئيس فإننى لم أعد رئيسا . . فقد انتهت فترة حكمى منذ ليلة أمس

أمس الأول . . وعن الملابس فعندكم مثلا يرتدى الضباط زيا أسودا فى الشتاء وأبيض فى الصيف وكذلك المرضون والدكاترة فى مستشفياتهم . . والتلاميذ فى مدارسهم . . هكذا نحن . . هم يعتزون بأعمالهم وبزيها وكذلك نحن . .

استدار الرئيس ناحية الباب وسار فى خطوات بطيئة بينما كان يرمقه فخر الدين بنظرات حقد للحرية التى يتمتع بها . . انغلق الباب خلف الرئيس بينما مازال فخر الدين واقفا بثبات . .

اتجه إلى مكتبه وأمسك بصورة لعبير من وحى خياله قد فرغ من رسمها . . حملق فى الصورة يتأمل كل جزء فيها . . اغرورقت عيناه بالدموع فقال لنفسه يواسى حرمانه ومله :

لولاك يا أبهى فتاة فى الكون ما حبست هناك أو هنا . . إننى مستعد أن أموت لو كان هذا يسعدك . . ليتك الآن تتذكرينى وليتها تجتاحك تلك اللوعة التى تجتاحنى منذ ثمانمائة يوم أو يزيد . .

تهللت أسارير وجهه ثم عاد للانقباض ثانية وكأنه تذكر شيئا لم يكن بخاطره . . فوقعت الصورة من يده أثناء صرخته . .

لا . . لا يمكن . . سأقتلها إن فعلت ذلك . . إن خانت عواطفها وتزوجت بأحد غيرى . .

التفت إلى الصورة ثانية فالتقطها من الأرض وضمها إلى صدره وهو يتمتم :

لا . . لن أقتلها . . هذا الجمال وهذه الرقة لا يعرفان العنف . . حرام أن تمتد يدى أو أية يد فى العالم إليه بسوء . . يد مجرمة آثمة التى تفعل ذلك وتستحق القطع . . لا . . بل السحق . .

عاد للهدوء ثانية وأخذ يتحدث وكأنه يترجى أحدا لنيل التعاطف . . إن كان لابد من الانتقام . . فلأنتقم من نفسى . . أقتل نفسى حتى تستريح من هذا العناء . . فحياتى بدونها مستحيلة . . لا يمكن استمرارها لأن الإنسان لا يعيش أبدا بدون قلب . . سأعيش عمرى كله فى كهف مقفر . .

واستطرد يتساءل وكأنه ينتظر إجابة بالنفى . .

ممكن تعمل هذا؟؟ ممكن تضيع منى؟ بالتأكيد هى تتعذب الآن مثلما أتعذب أنا . . لقد قالت لى ذات يوم إنها لا تتخيل الحياة مع غيرى مطلقا . . بالتأكيد لن تتركنى . . ولكن ترى هل تعلم

ما حدث لى؟؟ حتما ستعلم . . وتنتظرنى . . فهى ذكية جدا . . كما أن الحدس بين العاشقين هو وسيلة اتصالنا . .

تنهد تنهيدة طويلة تعبر عن هدوء باله ثم قال :

آه . . لو تعلمين اننى ما بقيت هنا إلا من أجلك ومن أجل سعادتنا سويا . . ملعونة الفلوس التى أبعدتنى عنك قبل وبعد السجن . . لكنه قدرى وقدرك . . فمن يهرب من أقدار الله فى هذا الوجود؟؟ من؟؟ ظروفى المعيشية صعبة فى البلد . . والدتى ووالدى العجوزان لا يملكان سوى الستر . . وأنا بالنسبة لهما مشروع استثمارى علمانى من قوتهما . . وينتظران أن أرد لهما الدين . . لكن ياللقدر ! ! لم يتركهما ينتفعان منى . . وأنا نفسى لا أدرى مدى نفعى لنفسى ذاتها . .

جلس على ناصية السرير . . وكان مازال يفكر وكأنه يندب حظه العاثر . .

يا لصبرك يا فخر الدين ! ! كل شئ عندك يحتاج لخطة . . وليتها تنفع . . تحتاج خطة لرد دين الأهل فى البلد . . وخطة لمساعدة أخيك . . وخطة للزواج . . تسبقها خطة للشقة وأخرى للعمل . . لقد أصبحت الحياة هناك هما متصلا للفقراء . . ربما

الحياة هنا أكثر تسلية . . وأقل مشكلات . .لكن الحياة هنا بدون عبير جحيم مؤكد والحياة هناك معها جنة بلا شك . . والمال لا يتحقق ببقائى هنا . . عموما ها أنا قد مكثت كثيرا ولم يبق سوى خمسة أشهر على خروجى فلأصمد حتى النهاية . .

كان يلوح بيديه فلاحظ أن لون بشرته أصبح أبيض كاللبن تماما . . حتى الشعر الأسود القليل الذى كان يغطى أجزاء منها أصبح لونه مصفرا . . ذهب إلى المرآة ليلقى نظرة شاملة على نفسه فلاحظ أيضا أن عينيه اصبحتا لامعتين . . نظر إلى شعره وتحسسه بيده فاكتشف أنه أصبح رقيقا جدا وناعما . . تطلع الى لحيته التى أطلقها فاستاء من منظرها فقرر إزالتها بالمزيل . .

كانت الساعات تمر بطيئة . . وكأن الثوانى أيام بكاملها . . استنفد كل البرامج التى وضعها للتسلية . . والآفة التى كان يخشاها هى الأرق . . أما النوم فقد صار أمنية صعبة المنال . . حيث إنه اختزله من اثنتى عشر ساعة يوميا الى أربع ساعات . . وهو الأمر الذى يضيف تعذيبا جديدا على عذابه . .

فكر ذات يوم فى تناول منوم . . وطلبه فعلا . . فقدموا له حفنة منه . . سعد به كثيرا واعتبره سلاحا فتاكا ضد الأرق . . ومن شدة لهفته عليه تناول منه حبة فى غير وقت النوم ورقد على

السرير انتظارا للفرج . . لكن الأرق كان أقوى من الحبة المنومة . . فتناول منه واحدة أخرى حتى رقد . . واستمر ينام على هذا المنوال مدة طويلة . .

بقى أسبوع على انتهاء الألف يوم كما أخبره الرئيس آخر مرة قابله . . كان فخر الدين متوترا فيها للغاية . . لا يكف عن التجول فى المكان جيئة وذهابا وينظر لكل ثانية تمر نظرة سعادة وفرح لفواتها . .

منذ بدء الألفية كان يبتكر أشياء يقضى أطول وقت فى إعادة ترتيبها . . كان يعيد ترتيب المكتبة . . أو أن ينقل السرير من موضعه أو أن يقوم بعد خيوط الملاءة المفروشة عليه . . مرة طولا ومرة عرضا ليحصى عدد المربعات بينها . .

لكن فى هذا الأسبوع نفدت كل الحيل . . فقرر أن يعيد فعل مثل تلك الأشياء لكنها كانت رغم إفادتها مملة جدا . .

وفى الساعات الأخيرة . . بقى فخر الدين واقفا أمام الباب مترقبا حضور الرئيس ليفرج عنه برزت عضلات رقبته وعروقها حينما فكر فيما لو قالوا له إن خطأ فى الحساب أنقص يوما من أيامه . . بل لو كانت ساعات أخرى لخرج دون أن يكمل الألفية

خاسرا الرهان . . لكن الوقت يتجمد . . وكأنه دهر من العمر أن تنتظر دقائق . .

وفى الساعات الأخيرة جلس القرفصاء أمام الباب متطلعا نحوه . . كان يضعف بصره فيغمض عينيه فترة ثم يواصل النظر . .

ولا ينسى فخر الدين ما حيى ساعة انفتاح الباب ودخول الرئيس السابق ليهنئه بكسب الرهان . . لم ينتظر فخر الدين ليكمل الرئيس كلماته بل سبقه إلى الخارج وسط ضحكات الرئيس ورجلين آخرين معه يبدو أنهما من أعضاء مجلس الحكماء وأنه نسى ملامحهما . .

سار فى طرقات المملكة بحثا عن باب يؤدى إلى الخارج ليشاهد قبة السماء ويشم الهواء الجديد ويمتع نظره بمساحات الفضاء والأشكال الجديدة من الأشياء . . إلا أن الرئيس رفض أن يبحث ذلك إلا بعد اجتماع مجلس الحكماء ليقرروا صرف مبلغ الخمسين ألف جنيه ويحددوا مدى تنفيذه للرهان بشرط أن يكون بينهم كما حدث فى أثناء عقد الاجتماع لتحديد نوعية الاختبار منذ ثلاث سنوات مضت . .

جلس الرئيس على اليمين بينما جلس الرئيس الجديد فى المنتصف وعلى اليسار الحكيم الثالث . . افتتح الرئيس الاجتماع بكلمة تحدث فيها عن الأسير الذى لديهم وعن اجتماع دار الندوة والآراء التى قيلت بشأن التصرف فيه وكيف انتهى الأمر فى دار الندوة وفى مجلس الحكماء وقتها ثم تطرق لنوعية الأداء الذى قدمه الأسير فتحدث عضو اليمين بقوله :

عبر ألف يوم وليلة . . كابد فخر الدين فقد شئ من أسمى الأشياء . . وحاجة من أغلى الحاجات ألا وهى الحرية التى أقمنا مملكتنا على عتباتها . . وفقدانها عقوبة تصل لحد الاعدام ذاته . . كما لا يعوض شخص عن فقدها بكل الكنوز وإن أحضروها له بين يديه . . ولقد أبلى فخر الدين بلاءً حسنا طوال تلك الفترة مما أثر على صحته وعلى خياله . . وقتل داخله انسانا حراً . . ولكل ما تقدم فإن مبلغ الخمسين ألف جنيه رقم ضئيل جدا قياساً بسلب حرية إنسان ولو ليوم واحد . .

ثم تحدث حكيم اليسار فقال : فعلا ٥٠ ألف جنيه رقم حقير . . وقد أبلى فخر الدين بلاءً حسنا ولكن ثمة مشكلة لابد من التمعن فيها جيدا . . هل سنعطى له المبلغ وندعه يذهب فيتمرد علينا وربما يجلب إلينا الشر من عالمه المتعنت فيدمر

مملكتنا . . يجب البحث عن طريقة لاختبار إخلاصه ندعو لها فى هذا المجلس ونطبقها . .

تضجر فخر الدين بينما تحدث الرئيس الجديد ليتساءل . .

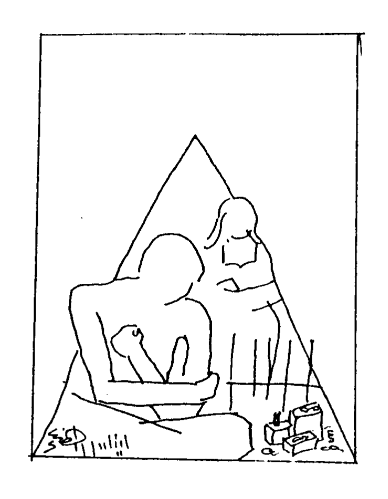
هل يجوز أخلاقيا فى مملكة الحرية ذبح الحرية لشخص قادته ظروفه للمجيء نحونا ! !

لو فعلنا ذلك سنكون قتلنا نفسا بغير حق ونكون آثمين مثل عالمه . . أليس كذلك؟ ؟

همهمات صدرت من الحكيم الأول تعنى الموافقة على الكلام فاستطرد الرئيس الجديد مشيرا بيده : .

إذن . . هذه شنطة بها مبلغ خمسين ألف جنيه . . وشنطة أخرى بها ملابس موجودة فى عالمكم لترتديها وترحل إن أردت الرحيل . . وإن لن ترد سندخلك فى عالمنا المتكامل ونفتح لك أبواب مدينتنا الجميلة لتحيا بشكل طبيعى . . أما لو رحلت فلا تخبر أحدا عن مملكتنا وألا ستخسر الكثير . .

تناول فخر الشنطتين ودون تفكير . . فتح الأولى وكانت مملوءة برزمات من أوراق العملة المصرية فئة الخمسين جنيه . . احتضن الشنطة بعدما أغلقها . . وأخذ يتراقص بها فرحا وسط



دهشة الحكماء الثلاثة . . لكن أحدهم أشار عليه بتغيير ملابسه استعدادا للخروج . . خلف إحدى الستائر لبس بدلة شتوية جميلة كانت فى الشنطة الأخرى ثم ودعهم ومعه الثلاثة يرافقونه حتى باب الكهف وقبل أن يرحل همس فى أذن الرئيس بأن يحرق زى السجن الذى سيجده فى المحبس . . فضحك الرئيس . .

انفتح الباب وكانت الدنيا معتمة . . رغم ذلك بهر ضوء السماء الواسع عينيه لكنه استطاع السيطرة على حدقتيه بعد ثوان قليلة . . قلب وجهه يمنة ويسرة بينما انغلق باب الكهف من خلفه . .

اعتلى قمة جبل متطلعا إلى وجهة يتوجهها . . فلمح خيالات لأشجار فى نهاية سفح الجبل على بعد عدة كيلومترات

تقريبا . . أخذ يتقافز بين الصخور الصغيرة شديدة الانحدار متجها إليها . .

ورغم أن الليلة كانت غير مقمرة والجو مشبع برطوبة الصيف إلا أن مستوى الرؤية عند فخر الدين كان مرتفعا وجسمه يتلذذ بالحرارة التى حرم منها فى الكهف . .

كانت تشغل ذهنه أشياء كثيرة . . أناس أمضى معهم ألف يوم لكنه لا يعرف هويتهم . . واجاباتهم غير مقنعة حين سؤالهم . . وتصرفاتهم غريبة . . وكأنهم نقيض مجتمع . . تقنية معيشية متطورة مقتبسة من القرن المقبل وحجة فكرية وطرق فلسفية تعود للعصور القديمة . .

ويشغله أناس آخرون يعود إليهم . . يجدد معهم فكره الذى تطور بطريقة غير طبيعية خلقت بداخله كائنا تنظيريا لا يعيش إلا فى الكهوف حيث لا وسيلة للترفيه إلا التنظير . . أما الطبيعى أن يتصرف الإنسان حسبما تصادفه الأحداث . . ولا يشترط أن يكون التصرف منطقيا . . فمن الطبيعى أن يتملك الإنسان الشطط . . فيقذف بكل فكرة للجحيم . .

تمتم يقول :

«ترى ماذا ستكون انفعالات عبير عندما تعلم بخروجى؟؟ أظنها ستسعد جدا . . لكن لا بأس لقد عدت لها والآن فلأخطط

لكيفية مواجهة المشكلات التى ستقابلنى فالشرطة ستعتقلنى فى حال تعرفهم علىّ . . ويجب الهروب منه» . .

هكذا دندن فخر الدين بينما أمضى عدة ساعات سيرا دون تعب فهواء الحرية يقوى عزيمته وولع العودة منتصرا كالفرسان يجعله لا يشعر بأى مؤثر يرهقه . . ولما حطت رجله فى السهول المحيطة بالوادى أدرك أنه بالقرب من قرية ريفية بسيطة جدا . . حيث كانت أصوات الكلاب قوية والبيوت التى يخرج منها ضوء خافت تكشف عن قلتها فى القرية . . استقر رأيه على زيارة إحداها للإقامة عند أهله حتى الصباح . . وما أن سار فى شوارع القرية حتى لمحه شخص عن بعد ففر هاربا مذعورا . . استنكر فخر الدين هذا التصرف لكنه لم يبال وبجرأة يحسد عليها طرق أحد الأبواب . . فأطل عليه شخص يرتدى جلبابا . . قال فخر له إنه ضيف ضل به الطريق وينتوى المكوث عنده للصباح إن سمح له بذلك . . نظر الرجل خلفه وكأنه يستشير أحدا وعاد مرحبا .

دخل فخر الدين وطلب منه الجلوس على دكة تتوسط البيت لحين إعداد المكان الذى سيمكث بداخله . . أشار الرجل على فخر الدين بالذهاب للحجرة وأجلسه على المقعد بينما جلس هو بجواره . .

قال الرجل مرحبا : يا أهلا وسهلا . .

رد له تحيته . . ومع شعوره أن الرجل يريد أن يسأله عن اسمه قال بعد تريث :

أنا حمدى جودة . . مهندس زراعى . . تعطلت سيارتى بعيدا فلم أجد مكانا للإقامة به فقررت الحضور لبلدتكم . . ما اسمها؟؟

قال الرجل : شوشة . .

قال فخر : شوشة . . تتبع المحافظة؟؟

قال الرجل : لا . . شوشة تتبع بنى مزار . .

هب الرجل من مجلسه ناحية الباب ثم أحضر بعد ذلك الشاى واحتسياه معا فأضاف وهو يلوح بقطعة ملابس بيده . .

بالتأكيد موش معاك غيارات . . خد دى وارتديها . .

رفض فخر الدين لكنه تحت اصرار الرجل قال : بلدتكم صغيرة . .

أجاب الرجل وقد عاوده التوحش : ليه يا بيه؟ . إحنا معانا سلاح والحمد لله . .

استغرب فخر الدين الإجابة فقرر أن يكسر هواجسه بقوله :

أنا مش حرامى . . بس قدرى جابنى عندكم وأنا موش غريب ولا حاجة . . أنا من الفيوم لكن طبيعة عملى أوقعتنى فى هذه الظروف . .

قال الرجل مستحيا :

ما تآخذنيش يا بيه . . بيطلعوا علينا كل كام يوم . .

مين دول؟؟

الإرهابيين . .

الإرهابيين؟؟

أيوه . . مرة بيسرقوا المواشى ومرة يحرقوا تبن القمح . . والناس هنا كريمة قوى بس أولاد الحرام ماخلوش لاولاد الحلال حاجة وأنا آسف إن كنت جرحتك . .

لا . . الحرص واجب . . لكن اللى يسرق ويحرق هل هو حرامى فعلا؟ .

أنا عارف يا بيه . . دول بينزلوا من الجبل ويسرقوا وينهبوا والناس شافتهم ومش عارفين نعمل لهم حاجة . .

خرج الرجل ثم أحضر طعاما وقال :

معلش يا بيه . . دى حاجة بسيطة . . تلاقيك ما أكلتش من أول ما طلعت من بيتكم . .

لم يتردد فى تناول الطعام . . ثم تلاه الشاى . . وبعد الانتهاء من ذلك تركه الرجل لتغيير ملابسه وودعه للنوم . .

لم ينم بسرعة . . بل أخذ يفكر حتى الصباح حينما سمع أصوات أطفال وسيدة بالخارج . . تظاهر بالنوم وكان حينئذ باب الحجرة مغلقا وقتها استسلم للنعاس . . ولم تمض ساعات قليلة حتى استيقظ على صوت الرجل يطلب منها تجهيز الإفطار للضيف وذبح فرخة له على الغذاء . .

انفتح الباب وأطل الرجل ليستكشف صحيانه فنهض فخر الدين ملقيا عليه تحية الصباح ورحب به وطلب منه النهوض لغسل وجهه . .

ولم تمض ساعات حتى انتهى من تناول إفطاره وتغيير ملابسه . . ودخل شاب الحجرة وما أن شاهده فخر الدين حتى سأل الرجل : ابنك؟

أيوه . . شادى . .

تحدث فخر لشادى : أنت فى المدرسة بالتأكيد . .

فى الصف الثالث الثانوى . .

مازال الفتى يتفرس وجه فخر الدين لدرجة دفعته أن يستفسر عن السبب . .

فقال الفتى : إنك تشبه قاصا مشهورا تملأ كتبه كل مكان . .

اطمأن فخر الدين لعدم تعرف الفتى على شخصيته وهو ما خشية منذ الوهلة الأولى . . ثم حضر أطفال صغار آخرون . . فأخرج فخر الدين ورقة مالية فئة الخمسين جنيها وأعطاها لهم وسط استنكار وقسم والدهم . . ثم هم بالانصراف رغم إصرار الرجل على البقاء . .

أراد الرجل أن يرافقه لكنه رفض فأرسل معه ابنه شادى لتوصيله لمكان السيارة . .

فكر فخر الدين فى كيفية التهرب من الموقف . . فسأل الفتى عن أقرب طريق يؤدى للمدينة . . متعللا أن السيارة بها شئ مكسور يحتاج لتبديله . . فدله الفتى على الطريق وهناك استقل القطار متجها للقاهرة . .

كافة الأحداث عبر طريق القطار كانت تحيى فى نفس فخر

الدين متعة حرم منها تتقافز بداخله ، مشاهد الخضرة التى تخلب النظر من نافذة القطار . . وهمسات الركاب من حوله وأحاديثهم . . ونظراتهم نحوه التى جعلته يرتاب فى بادئ الأمر ثم يعود مستسلما عليها فى متعة جميلة . . خشى أن يفقدها بالقاء البوليس القبض عليه . . لكنه كلما فكر فى المتعة الأكثر لذة حين لقائه مع عبير كان يتبدد هذا الهاجس . . كما استمتع متعة كبيرة بمشاهدة النسوة والفتيات . . لكنه كان يتذكر فى كل ملامحهم أيضا عبير . .

وصل القطار إلى محطة باب الحديد . . ومنها استقل تاكسى إلى حيث المسكن الذى لم يُعطَ الفرصة لتوديعه منذ ثلاث سنوات . .

نظر إلى الشقة المقابلة للشقة التى يقصدها . . لقد تغير شكل الباب . . وبدا التراب يكسو دهاناته . . بما يعطى إيحاء بأنها شقة مغلقة . . بلا سكان منذ أمد طويل . . ضغط على ذر جرس شقته . . فخرجت منها فتاة . . اعتقد أنه أخطأ فى المكان . . وسألها عن شقة نور الدين وشاحى . . لكنه فوجئ أنها تخبره بأن هذه الشقة شقة نور الدين فعلا . . سألته عن اسمه فرفض أن يخبرها طالبا بأن تدعوه له بأنه أحد أقاربه من البلد . .

وحضر نور الدين وكان مايزال يرتدى غياره حيث كادت المفاجأة تصعقه . . أقدم عليه متفحصا ملامحه بتأن ثم احتضنه صائحا بقوله إنه كان متأكدا من عودته . . أراد فخر الدين جعله يكف عن ذكر اسمه . . إلا أنه لم يستجب فاصطحبه داخل الشقة بينما كانت نظرات فخر الدين ترصد التغييرات الكثيرة التى حدثت فى الشقة وفى شقيقه . .

استفسر فخر الدين عن تلك التغييرات وهذه السيدة التى تقطن معه وكانت إجابة نور مفاجأة حيث أخبره أنه اشترى هذه الشقة وتزوج من إكرام . .

كانت السيدة ذات القوام الممشوق فى العشرين من عمرها لها من بهاء الطلعة مع رشاقة وخفة الروح ما يخلب الأنظار وتخفق له القلوب . . وحينما حضرت إلى مجلسهما قدمها لشقيقه . .

كانت الاسئلة تختلج فى الألسنة وكل يحمل فى جعبته حديث مشوق وهو الشىء الذى أدركه نور فقال :

ما حدث هو حكاية أغرب من الخيال . . فبعد لقائى بك

آخر مرة فى السجن تذكرت أن هناك ساعيا كان يشفق علىّ حينما ألقوا بى خارجا . . شعور قوى أكد لى أن بيده مفتاح الحقيقة . . خرجت مباشرة من عندك واتجهت للشركة . . انتظرته خارجها فى موعد خروج الموظفين ولما لجنى وجدته مرعوبا . . كان يريد أن يقترب منى لكنه كان يبتعد وكأن شيئاً يجذبه بعيدا عنى . . استطعت محاصرته وتضييق الخناق عليه . . لقد اعترف لى بالحقيقة . . مدير الحسابات كان يسجل مبالغ لأشياء وهمية دخلت المخازن حتى يغطى على سرقاته . . وكان الساعى خائفا من هذا الرجل لقوته البالغة فى الشركة . . لكننى هدأت من روعه وأخبرته أن أشخاصا لها قوة فى مصر تقف خلفك لإثبات براءتك وأنه لن يضار إن اعترف بالحقيقة أمام النيابة . . لقد كان شخصا طيبا لم يجعله يصمت سوى خوفه على أكل عيشه . .

فقدم المستندات للنيابة التى تدل على التلاعب فى الإيرادات والمصروفات بعدما سرقها من مكتب مدير عام الحسابات . .

تساءل فخر باندهاش عن السبب فى تدبيرهم له تلك المكيدة وما مصلحتهم فى سجن شخص يبحث عن لقمة عيشه؟؟

تنهد نور الدين تنهيدة قوية وقال بثقة بالغة :

مازلت لا تدرى يا فخر الدين كيف تسير الحياة عندنا . . إن منطق الثراء الفاحش لدى البعض يستلزم أن تعمى البصيرة . . ومنطق الخبطة ، خبطة العمر . . لديهم لن يسأل عن نوع وعدد الضحايا فلكل شئ مكسب وخسارة . . هو يكسب ثمن المسروقات . . وأنت تدفع سنوات شبابك فى السجن . . إنه أمر مرعب جداً يا شقيقى . .

صمت فخر الدين لحظات وكأنه يحاول وضع تصور للواقع الذى رسمه أخوه الأصغر للحياة ثم طلب منه أن يكمل الحديث . . فقال نور الدين مستطرداً :

ثم اعترف مدير عام الحسابات أمام النيابة التى أصدرت قراراً باعادة محاكمتك . . وهو ذات اليوم الذى بلغنا فيه خبر حدوث انفجار أثناء عمل رجال العنبر الذى كنت مسجونا به فى الحجز . . ومات خمسة أشخاص استطاعت المباحث الجنائية التعرف على أشلائهم ويوجد ثلاثة أشخاص لم يتم التعرف عليهم . . حيث إنه لم يتوافر أى أثر لهم وقد اعتبرتهم أمواتا تناثرت أشلاءهم واختفت تماما . . وقد كنت أنت منهم . .

قطع الحديث ذهاب الزوجة للمطبخ بينما كان يستمع فخر الدين فى شغف لحديث أخيه الذى واصل يقول :

لقد اعتبرتك الحكومة ميتا . . أما أنا فلم أشعر بذلك مطلقا . . كنت متيقنا أنك تعيش . . وأنك ستعود . . لقد انتظرتك طويلا . . وأخيرا ها أنت عدت سالما . .

واستطرد نور :

لابد أنك تتساءل عن خط سيرى بعد ذلك وهو الأمر الذى يحمل ربما مفاجأة لك . . حيث إنني وجدت نفسى أتضور جوعا بعد أسبوعين من عودتى من البلد . . أفلست تماما بعد ما نشلت فى الأتوبيس فى أثناء ذهابى للمدرسة . . وقتها كنت أحمل كتب المدرسة . . وكان بداخل كتاب منها خطاب من خطابات عبير لك . .

أراد فخر أن يتحدث لكن نور أشار له بالتوقف واستطرد . .

لقد عبث أحد زملاء المدرسة فى كتبى . . ولما جئت من خارج الفصل وجدته يقرأ الخطاب ، ، وقتها انفعلت عليه جداً وكادت تحدث مشاجرة قوية لولا أننى رأيته محزونا على الخطاب ومتأثرا بكلماته . . قال إنه يتمنى من فتاته التى يحبها كتابة خطاب

كهذا . . وسمعت فعلا الصدق فى مشاعره . . يبدو أنه كان عاشقا حتى النخاع . . فوجدتنى مشفقا عليه جدا . . ترجانى لأخذ صورة من الخطاب ولكننى قلت له مازحا إننى أطلب نص جنيه فأخرجه وطلب منى نسخ أى خطاب مقابل نص جنيه للواحد . .

فى هذه الأوقات كنت بحاجة شديدة الى أى مصدر دخل . . ولكننى حينما عرضت الخطابات على إكرام وجدتها تثنى على كتاباتك وتقول أن أفضل كتب الحب لا يوجد بها كتابات دافقة كتلك . .

حينئذ قمت بإعداد بعض الرسائل وجهلتها وذهبت بها لدار نشر . . اتفقت مع الناشر أن تكون الأرباح مناصفة فى حالة نجاح توزيع الكتاب الذى أصررت أن يحمل اسمك . . حيث أسميته (. . . إلى فخر الدين) والمفاجأة أن الكتاب حقق أرباحا عالية لم أكن أتخيلها . . ووجدت الناشر يرجونى كتابة رسائل أخرى لعمل كتب أخرى . . فذهبت له بكل الرسائل وعملت كتابين منهم . .

لقد أصبحت رسائلك مثار حديث الوسط الأدبى كله . . وكثيرا ما نشرت الصحف صورك ووصفتك بالشاعر الشهيد . .

لقد نلت فى أثناء غيابك شهرة ما كان يمكن أن تحققها لو كنت موجودا حيا بيننا .

ضحك نور الدين بينما عادت ذاكرة فخر الدين الى سبب حملقة الصبى فيه فى القرية الصغيرة ونظرات الناس له فى القطار بينما كان مايزال نور يتحدث . .

أدرك أننى حتى الآن لم أصل للحديث المهم (قاطعته الزوجة بإعدادها مائدة الطعام ودعوتهما إليه)

نهض فخر الدين ليجلس بجوار نور الذى كان يتأبط ذراع زوجته حول مائدة الطعام . . نظر نور إلى زوجته وكأنه يغازلها وقال موجها حديثه لفخر ويبدو من نظرات الزوجة الرقيقة أنها تعلم ما سيقوله . .

بالتأكيد هناك سؤال مهم يختلج فى صدرك . . لن أنساه . . وإن نسيته فبالتأكيد ستنفجر طارحا إياه . . خوفا من حدوث هذا الانفجار بعد عودتك لنا سالما سأخبرك أنها فتاة من أنبل بنات هذا العالم . . لقد تقدم ليدها عدة أشخاص رفضتهم حزنا عليك وإخلاصا لحبك يا شقيقى . . رغم أنك فى نظر الناس والقانون ميت . .

عبير ستسعد بك . . ربما لو سمعت الخبر يغمى عليها من فرط السعادة فالأحياء يموتون أما الأحباب فيحيون ، وهو الشئ الذى لا يحدث إلا مرة ربما فى الألف سنة . .

أراد فخر أن ينهض من مقعده لكن نور طلب منه الجلوس قائلا :

أكمل طعامك . . فإن الفتاة التى صبرت ثلاث سنوات ليس صعبا عليها أن تصبر يوما . . كما أنهم اشتروا شقة أخرى عزلوا إليها . .

قال فخر وكأنه يفجر مفاجأة :

لقد حصلت على البراءة إذن وعبير مازالت تنتظرنى ومعى ٥٠ ألف جنيه . .

لكن نور لم يبال بما قال فاستطرد : لقد أصبح رصيدك فى البنك ٣٠ ألف جنيه من الكتب التى بعتها كنت أصرف من أرباحهم . . كما أنى مدين لك بثمن هذه الشقة وبعشرين ألف أخرى تكلفة زواجى من إكرام . .

أصدر فخر صوتا تعجبيا ثم قال مشيرا للشنطة وبنفس الحماس : إننى عدت بهذه الشنطة المملوءة بالفلوس ، خمسين ألف جنيه . .

التفت نور وإكرام تجاه الشنطة باندهاش شديد بينما استمر فخر يقول :

لقد رويت لى ما حدث لك . . والآن ينبغى لى أن أحدثكما عنى . .

توقفا عن الطعام يتابعان بتركيز شديد كلماته ولما فرغ من سرد حكايته قالت إكرام : هل ممكن حدوث مثل تلك الأحداث الغريبة يا نور؟ .

أجابها نور : شئ غريب جدا ولكن لم لا؟؟ أليست هناك أشياء أشد غرابة من هذه القصة بأحداثها الغريبة تحدث فى عالمنا . .

أسرع فخر الدين بوضع الشنطة بجواره وقام بفتحها عارضا ما بها على نور الدين إكرام . . نظر الاثنان للشنطة بينما لمعت فى عيونهما نظرة وجوم . . اندهش من تلك النظرة فقال وهو يدير الشنطة تجاهه :

إنها خمسينات . . شقاء سنوات طويلة فى محبس انفرادى ممل . .

صمت بينما حدق بشدة فى الشنطة وهو يكاد يجن من الحدث . . حيث كانت الشنطة فارغة إلامن ملابس السجن التى تركها هناك منذ ثلاث سنوات . .

أخذ فخر الدين يهذى بكلمات غير مفهومة واستمر فى توتره وقلقه يقلب أجزاء الشنطة . . فطوقه شقيقه بيده رابتا فوق كتفه . . إلا أن فخر الدين حملق فى وجه إكرام ونور الدين وقال منفعلاً :

والله العظيم الشنطة كانت مليانة فلوس . .

ثم عاد ليؤكد : أنا موش مجنون . . صدقونى . .

التفت نور إلى إكرام وكأنهما يشفقان عليه من هوس أصابه . . لذلك قال نور مجاملاً : الحمد لله على السلامة يا فخر . . عودتك إلينا سالما هى كنز سيسعد الكثيرين أمك وأباك . . وأنا وإكرام وعبير التى ستطير فرحة بك . .

استطرد فخر فى هواجسه : والألف يوم راحت هدر . .

أجاب نور معظما من انتصارات شقيقه ومقللا من هول الصدمة . .

لا . . لم تضع هدرا . . كل سنة ربحت فيها عشرة آلاف جنيه فى البنك . . وصرت كاتبا قلمه يهز قلوب العاشقين . . تتشرف به أية أسرة مصرية . . كما انك كتبت روايتين هناك ولا شك أنهما رائعتان . . وكذلك ٣٠ ألف جنيه وديون ميتة (مشيرا

لنفسه) . . تحدث فخر بشأن رغبته فى الذهاب إلى المملكة ليحدثهم عن الخدعة التى حدثت له . . لكنه تراجع ثانية وكأنه تذكر شيئا نسيه فقال مستردًا وعيه :

لن يجدى ذهابى لهم . . فالحقيبة كانت مملوءة بالفلوس بعد خروجى . . وتأكدت من ذلك فى القرية . .

استدار موجها كلامه لنفسه : ربما يكون هذا هو السبب . . فالشنطة لم يلمسها غيرى ولكنهم فيما يبدو نفذوا تهديدهم بشأن إفصاحى عنهم . .

ربت نور على كتفه بينما حضرت إكرام ومعها الشاى . . فقال نور محولا مسار انشغالات فخر :

اشرب الشاى . . فذهابنا إلى عبير لحظة تعذبت من أجلها ثلاث سنوات قد أصبحت الآن قريبة . . قريبة جدًا . .

انتبه فخر بشدة وكأنه تملكه ماس كهربائى . . وأشار إليهما بأن يلحقا به . .

طلبوا منه الانتظار لحين تبديل ملابسهما . . وتحول الطلب إلى رجاء وسط إصراره لكن قدميه كانا أسبق من توسلاتهما

فأصبحتا خارج الباب فعلا . . هنا لوح لإكرام بيده وكأنه استنفد
كل وسائل الإقناع مشيرا لإكرام بأن مخه خف . . وأسرعا خلفه
بينما كانت الضحكات تدوى فى المكان . .

★★ صدر للمؤلف

* زمن السقوط . . . . رواية
* السحت . . . . رواية

★★ تحت الطبع

* الأشواك . . . . رواية
* مع تحياتى وأشواقى . . . . رواية
* غربة النفس . . . . مجموعة قصصية
* الدراويش . . . . رواية

مطبوعات الفجر

صدر منها:

١- تغريبة عبر زاق الهلالى (دراما شعرية) د. يسرى العزب
٢- الهاموش (مجموعة قصصية) حسن نور
٣- المبعدون (مجموعة قصصية) إدريس على
٤- حكايات مصرية (مجموعة قصصية) د. نجدى إبراهيم
٥- الدائرى (رواية) د. نجدى إبراهيم
٦- شجرة مريم (شعر) د. يسرى العزب
٧- تأملات فى الفن والثقافة (نقد) د. محمد حسن عبد الله
٨- أمسيات عائلية هادئة (مجموعة قصصية) منتصر ثابت
٩- شجرة الليمون (شعر) خالد النشوقانى
١٠- عصفور الحب (شعر) نجاة خليل
١١- حتى لا يطول الانتظار (مجموعة قصصية) محمود نور الدين
١٢- أكتب عمرى (شعر) ليلى محمد على
١٣- زائر بعد منتصف الليل (رواية) مديحة أبو زيد
١٤- خاطئة فى الجنة (رواية) يحيى سليمان
١٥- النملة والحداية (أزجال وأغانى للأطفال) عزت زايد
١٦- واحد أثنين سرجى مرجى (أزجال وأغانى للأطفال) عزت زايد

دار المنار للطباعة والنشر
المريوطية - فيصل
ت : ٥٧٣٩٧٩٤